الباب الرابع

منهج خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في الدعوة

٤,١ ـــ حقيقة دعوته وأهميتها

٤,١,١ـــ التعريف بالدعوة

٤,١,١,١ـــ الدعوة في اللغة

٤,١,١,٢ـــ الدعوة في الاصطلاح

٤,١,١,٣ـــ الدعوة في الكتاب

٤,١,١,٤ـــ الدعوة في السنة

٤,١,٢ ـــ دعوته إلى التوحيد

٤,١,٣ ـــ فتنته أثناء إقامة الدعوة

٤,١,٤ ـــ أهمية دعوته

٤,١,٤,١ـــ من الناحية الدينية

٤,١,٤,٢ـــ من الناحية التعبدية

٤,١,٤,٣ـــ من الناحية السياسية

٤,١,٤,٤ـــ من الناحية الاجتماعية

٤,٢ ـــ منهج دعوته وأساليبها ووسائلها

٤,٢,١ ـــ التعريف بالمنهج

٤,٢,١,١ ـــ المنهج في اللغة

٤,٢,١,٢ـــ المنهج في الاصطلاح

٤,٢,٢ ـــ أساليب دعوته ووسائلها

٤,٢,٢,١ـــ الأسلوب في اللغة

٤,٢,٢,٢ ـــ الأسلوب في الاصطلاح

٤,٢,٢,٣ ـــ الوسيلة في اللغة

٤,٢,٢,٤ ـــ الوسيلة في الاصطلاح

Prince of Songkla University Pattani Campus

٤,٢,٢,٥ ـــ أبرز منهج وأساليب ووسائل دعوته

أ ـــ الحوار

ب ـــ المجادلة

ج ـــ المناظرة

د ـــ التشديد

هـ ـــ التسامح

٤,٣ ـــ أصناف المدعوين في عهده

٤,٣,١ـــ الملأ

٤,٣,٢ـــ الأغنياء

٤,٣,٣ـــ عامة الناس

٤,٤ ـــ نتائج دعوة إبراهيم عليه السلام

٤,٤,١ـــ من الناحية الدينية

٤,٤,٢ـــ من الناحية التعبدية

٤,٤,٣ـــ من الناحية السياسية

٤,٤,٤ـــ من الناحية الاجتماعية

٤,٥ ـــ انتشار دعوة إبراهيم عليه السلام

Prince of Songkla University Pattani Campus

الباب الرابع

منهج خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في الدعوة

إن الدعوة إلى الله مهمّة الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم جميعاً، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن النار إلى الجنة. وهي دعوة مرتكزة على دعائم وتقوم على أسس لا بد منها ـــ متى اختلّ واحد منها لم تكن دعوة صحيحة و لم تنج الثمرة الطيّبة، مهما بذل فيها من جهود وأضيع فيها من وقت ـــ وهم يسيرون بدعوتهم في منهج واحد، وينطلقون من منطلق واحد وهو التوحيد، وهي أعظم القضايا والمبادئ التي حملوها إلى الإنسان جميعا من جميع أجيالهم ومختلف بيئاتهم وبلدانهم. قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (الأنبياء : ٤٦)

٤,١ ـــ حقيقة دعوة خليل الرحمن وأهمّيتها

وقد ورد الحديث عن دعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في خمس وعشرين سورة من القرآن الكريم ، وبلغ مجموع الآيات التي تضمّنت القضايا المختلفة لهذه الدعوة مائتين وتسعاً وثلاثين آية ، وتركز حديث القرآن عن دعوة خليل الرحمن عليه السلام في شخصيّته وغاية دعوته ومضمونها ووسائلها وأساليبها وأصناف المدعوين فيها وآثارها. (الشنقيطي، ١٩٩٨ : ١٣). وقد حكى القرآن الكريم عن حرص الخليل إبراهيم عليه السلام بدعوته لأبيه وقومه، وصبره عليها وثباته في مواجهة الكفر والبغي وفي مواجهة الآلهة المزيفة سواء كانت من الكواكب والنجوم أو من الأصنام أو من غيرها، وبذلك سبّب لحريقه عليه السلام في النار الملتهبة التي يملأ سعيرها الآفاق ويشعل الساحات. لكن بحكمة الله عز وجل سلم إبراهم من النار، وبصبره وثباته وحرصه أن يهزم الباطل، انتصر إبراهيم الخليل عليه السلام.

Prince of Songkla University Pattani Campus

٤,١,١ــ التعريف بالدعوة

٤,١,١,١ ــ الدعوة في اللغة

الدعوة في اللغة: الدعوة اسم مرة بمعنى الطلب، يقال دعا بالشيء دعواً ودعوة، ودعاء، ودعوى: طلب إحضاره، ودعاه إلى الشيء: حثّه على قصده، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين (ابن منظور، ١٩٩٢ : ٢٥٨/١٤).

فالدعوة: النداء والطلب

والداعي: رجل ينادي أو يطلب آخر. وهو الذي يقوم بأمر الدعوة ويتحمل أعباءها ومسؤوليتها وهو اسم فاعل

والمدعو: هو المنادى والمطلوب، وهو اسم مفعول

وتداعى القوم: دعا بعضهم بعضا حتى اجتمعوا

وتداعت الحيطان إذا سقط واحد وآخر بعده فكأن الأول يدعو الثاني

والدعاة: قوم يدعون إلى هدى أو ضلالة، وواحدهم داع.

وداعية: اسم فاعل والتاء فيه للمبالغة.

ورجل داعية: إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين.

والنبيّ ﷺ داعي الله. وفي التنـــزيل قوله تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٤٦)، وكذلك المؤذن.

ودواعي الدهر: صروفه، لأنها تأتي متعاقبة، وكأن الأول يدعو الثاني فيميله وهكذا (أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة : ٢٨٠/٢)

ولفظ الدعوة صالح لأن يستعمل في الخير والشر، ولذا فإن التعريف الاصطلاحي هو الذي يحدّد المقصود من الدعوة ويميّزها.

Prince of Songkla University Pattani Campus

٤,١,١,٢ ــ الدعوة في الاصطلاح

اختلف العلماء في تحدي التعريف الاصطلاحي للدعوة، منها:

١ــ عرّفها ابن تيمية[١] بقوله : "الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمّن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيرو وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربّه كأنه يراه" (الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ١٣٩٨هـ : ١٥/١٥٧ــ١٥٨)

وهذا التعريف يشتمل على الدعوة إلى أركان الإسلام وأركان الإيمان وركن الإحسان.

٢ــ وعرّفها الأستاذ البهي الخولي في كتابه تذكرة الدعاء بقوله: "هي نقل الأمة من محيط إلى محيط، تلك هي مهمّة الداعية، فيها يندرج مجمل منهاجه، ومفصلة، ومن ظنها غير ذلك فقد جهل نفسه ورسالته" (محمد أمين حسن، ١٩٨٣ : ١٦)

٣ــ وعرّفها الدكتور رؤوف شلبي بقوله: "الدعوة الإسلامية حركة إحياء للنظام الإلهي، الذي أنزله الله على نبيه الخاتم" (محمد أمين حسن، ١٩٨٣ : ١٧)

٤ــ وعرّفها الشيخ أبو بكر زكري في كتابه الدعوة إلى الإسلام بقوله: "هي قيام العلماء المستنيرين في الدين بتعليم الجمهور من العامة ما يبصرهم بأمور دينهم، ودنياهم على قدر الطاقة" (محمد أمين حسن، ١٩٨٣ : ١٧)

٥ــ وعرفها المتأخّرون بتعاريف كثيرة متقاربة نستطيع أن نستخلص منها أن الدعوة هي: "إبلاغ الناس دعوة الإسلام في كل زمان ومكان بالأساليب والوسائل

---

(١) ابن تيمية : هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي أبو العباس تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام، ولد في حران سنة ٦٦١هـ ، وتحول به أبوه إلى دمشق فنبع واشتهر. توفي سنة ٧٢٨هـ (الزركلي، ١٩٩٩ : ١/١٤٤)

Prince of Songkla University Pattani Campus

التي تناسب مع أحوال المدعوين". أو حثّ الناس على فعل الخير وتجنب الشر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوز بسعادة الدارين الدنيا والآخرة. (علي بن صالح المرشد، ١٩٨٩ : ٢١)

٦ــ وقال محمد أمين حسن: "ونخرج من هذه التعاريف بأن الدعوة إلى الله هي: تبليغ الناس جميعا دعوة الإسلام، وهدايتهم إليها قولا وعملا في كل زمان ومكان، بأساليب ووسائل خاصة تناسب مع المدعوين على مختلف أصنافهم وعصورهم. (محمد أمين حسن، ١٩٨٣ : ١٧)

٧ ــ فالدعوة إذن: ج"مع الناس على الخير ودلالتهم على الرشد بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر. كما قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (ال عمران: ١٠٤) (علي بن صالح المرشد، ١٩٨٩ : ٢١)

٨ ــ والمعنى الإصطلاحي لكلمة الدعوة لا يبعد كثيراً عن المعنى اللغوى. حيث إن مدار التعريف الإصطلاحي للدعوة يدور حول محاولة دعوة الناس بالقول والعمل إلى الإسلام وإلى تطبيق منهجه واعتناق عقيدته وتنفيذ شريعته. (الدكتور توفيق الواعي، ١٩٩٥ : ١٧٠)

٩ ــ وأقرب التعريف بالوصف منها إلى التعريف بالحدّ الذي يخرج به محترزات التعريف ولكن قد يكون أقربها هو أن الدعوة هي: قيام من له الأهلية بحثّ الناس جميعاً، في كل زمان ومكان لاقتفاء أثر الرسول محمد ﷺ، والتأسي به، قولا وعملا وسلوكا، وفق المناهج والأساليب والوسائل المشروع. (عيسى مال الله فرج، ٢٠٠٧ : ٧٠٩)

١٠ ــ والدعوة هي الدعوة إلى الله وإلى دين الله والحثّ على اتباعه وتطبيق شريعته. وهي الدعوة الإسلامية.

Prince of Songkla University Pattani Campus

والدعوة الإسلامية: يقصد بها بيان الحق وإبلاغه للناس، فدعوة الإسلام هي دعوة الحق يقول سبحانه وتعالى: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ (الرعد : ١٤) وقد فسّرت «دعوة الحق» بكلمة الشهادة والتوحيد أي شهادة أن لا إله إلا الله (ابن كثير ، ٢٠٠٢ : ٢/ ١٠٤)

والدعوة الإسلامية: هي الخضوع لله والإنقياد لتعاليمه بلا قيد ولا شرط، وقد استؤنس لهذا التعريف بقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ﴾ (الأنعام : ١٦١ - ١٦٢) وقوله تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (آل عمران : ٨٣) وقوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (النساء : ١٢٥)

والدعوة الإسلامية: هي الدين الذي ارتضاه الله للعالمين وأنزل تعاليمه وحيا على رسوله وحفظها في القرآن الكريم وبيّنها في السنة. قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة:٣) وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (آل عمران : ٨٥)

والدعوة الإسلامية منهج يقوم على بيان الحق، والخير، والهدى ، وكشف وسائل الباطل وأساليبه بشتّي الطرق، وبيان الأساليب والوسائل والمناهج التي يجمعها

Pranee of Sangkla University Puttani Campus

في قوله سبحانه: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ (النحل : ١٢٥)

أمر الله تعالى نبيّه محمد ﷺ: ﴿ ٱدۡعُ ﴾ يا محمّد من أرسلك إليه ربّك بالدعاء إلى طاعته ﴿ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ إلى شريعة ربّك التي شرعها لخلقه وهو الإسلام ﴿ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ بوحي الله الذي يوحيه إليك وكتابه الذي نزّله عليك ﴿ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ بالعبر الجميلة التي جعلها الله حجّة عليهم في كتابه وذكرهم بها في تنـــزيله كالتي عدد عليهم في هذه السورة من حججه وذكرهم فيها ما ذكرهم من آلائه ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربّك. وعن مجاهد في قوله تعالى ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ أعرض عن أذاهم إياك.

والداعية: جمع الداعي، وهو القائم بأعمال الدعوة، وهو اسم فاعل من دعا يدعو. والداعية الذي يدعو إلى دين أو فكرة، والتاء للمبالغة، فيقال عمن عُرف بالدعوة داعية، والداعية هو المبلّغ للإسلام والمعلّم له، والساعي إلى تطبيقه، فيشمل مصطلح الداعي من قام بأعمال الدعوة كلّها، أو بعمل من أعمالها إلا أن الذي يقوم بهذه الأعمال جميعها هو الداعية الكامل. ويمكن تقسيم الدعاة إلى ثلاث مراتب كالتالي:

١ ـــ داعي مكرّس للدعوة: هو من كرّس حياته وجهده وجُلّ وقته لخدمة الدعوة ومصالحها، بحيث أصبحت الدعوة شغلة الشاغل.

Prince of Songkla University Pattani Campus

٢ ــ داعي ملتزم بالدعو: هو من يلتزم بما يجب عليه تجاه الدعوة دون الوقوع في محظور إهمالها.

٣ ــ داعي غير ملتزم بالدعوة: هو من لا يلتزم بما يجب عليه تجاه الدعوة، إلا أنه يدعو إلى الله حسبما تيسّر له ذلك دون تقديم مصالحها في أولوياته. (عيسى مال الله فرج، ٢٠٠٧ : ٧١٠).

٤,١,١,٣ ــ الدعوة في الكتاب

لقد ورد لفظ الدعوة في الكتاب ــ القرآن الكريم ــ في عدّة آيات، مختلف السور والأجزاء للدّلالة على معان متعددة، منها:

١ ــ الدعوة بمعنى الطلب:

قوله تعالى: ﴿ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ (الفرقان : ١٤) أي لا تطلبوا اليوم هلاكاً واحداً بل اطلبوا هلاكا وويلاً كثيراً فإن ذلك لن ينفعكم.

٢ ــ الدعوة بمعنى النداء:

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ (الكهف : ٥٢) أي فنادوهم فلم يستجيبوا لهم.

٣ ــ الدعوة بمعنى السؤال:

قوله تعالى حكاية عن بني إسرائيل: ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ (البقرة: ٦٩) أي إسأل ربك يبيّن لنا ما لون البقرة التي أمرنا بذبحها

Prince of Songkla University Pattani Campus

٤ ــ الدعوة بمعنى الحثّ والتحريض على فعل شيء

قوله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون: ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ (غافر: ٤١) أي أنه ليس من العدل والإنصاف أن أحثّكم وأحرّضكم على فعل ما من شأنه نجاتكم في الدنيا والآخرة، وأنتم تحرّضونني على فعل ما من شأنه هلاكي.

٥ ــ الدعوة بمعنى الاستغاثة:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (الأنعام : ٤٠) أي هل إذا أتاكم عذاب وغضب من الله وأصابتكم كارثة أو مصيبة أو أتتكم الساعة هل إذ حدث ذلك تستغيثون بغير الله؟ فإن كلمة تدعون في الآية بمعنى الاستغاثة.

٦ ــ الدعوة بمعنى الأمر:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الحديد : ٨) أي والرسول يأمركم أن تؤمنوا بالله ربكم

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٤) اي يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم الاستجابة لله وللرسول، والانقياد لما أمر به والمبادرة إلى كل ما دعا الله ورسوله إليه، فإن حياة القلب والروح بعبودية الله ﷻ ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام.

Prince of Songkla University Pattani Campus

٧ ـــ الدعوة بمعنى التوسّل:

قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ (الأعراف : ٥٥) أي توسّلوا إلى الله بالدعاء وتقرّبوا إليه به

٨ ـــ الدعوة بمعنى التبليغ والبيان:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ (نوح: ٥)

قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (يوسف: ١٠٨)

٩ ـــ الدعوة بمعنى العبادة:

قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾ (الرعد: ١٤) اي لله وحدة دعوة الحق، وهي عبادته وحده لا شريك له وإخلاص دعاء العبادة ودعاء المسألة له تعالى، وهو الذي ينبغي أن يصرف له الدعاء والخوف والرجاء والحب والرغبة والرهبة والإنابة، لأن ألوهيته هي الحق.

ومن هذه المعاني المتعددة استُعمل لفظ الدعوة للدلالة عليها كما ورد في القرآن الكريم، وإذا نظرنا بشيء من الإمعان إلى تلك المعاني سوف نجد أنها تعود جميعها إلى أصل واحد وهو معنى «الطلب».

فالنداء: هو طلب الحضور والمجيء سواء لأمر حسي أو معنوي.

والسؤال: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً لدى السائل.

والتحريض والحث: هو طلب إتيان فعل غير مرغوب فيه عند المخاطب.

والاستغاثة: طلب رفع ضرر واقع على المستغيث.

والأمر: طلب إتيان الفعل مطلقاً.

والدعاء: هو الطلب من الله سبحانه وتعالى.

وتعدّد معنى الدعوة كما هو واضح بغرض بيان القصد المراد منها.

Prince of Songkla University Pattani Campus

ومن ثمّ يمكن أن نعرّف الدعوة إلى الإسلام من خلال ما تقدّم بأن الدعوة هو الطلب من الناس الدخول في طاعة الله تبارك وتعالى، وطاعة رسول الله ﷺ، والالتزام بشرائعه والتديّن بدينه الذي اختاره الله تبارك وتعالى لخلقه والعمل بتعاليمه.

٤,١,١,٤ ــ الدعوة في السنة النبوية

ورد لفظ الدعوة في السنّة النبويّة للدلالة على معان متعدّدة كما ورد في القرآن الكريم، معظمها للطلب والنداء والدعاء، كلّها يرجع إلى أصل واحد وهي الطلب.

١ ــ الدعوة بمعنى الدعاء:

قال رسول الله ﷺ: ((يدخل الجنّة من أمتي زمرة هي سبعون ألفا تضيء وجوههم إضاءة القمر ، فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرة عليه قال: ادع الله لي يا رسول الله أن يجعلني منهم. فقال: اللّهم اجعله منهم، ثم قام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. فقال رسول الله: سبقك عكاشة)) (البخاري رقم ٥٨١١)

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله قحط المطر فادع الله أن يسقينا، فدعا فمطرنا فما كدنا أن تصل إلى منازلنا، فما زلنا نمطر إلى الجمعة المقبلة. قال: فقام ذلك الرجل أو غيره فقال: يارسول الله ﷺ ادع الله أن يصرفه عنا، فقال رسول الله ﷺ: اللهم حوالينا ولا علينا. قال: فلقد رأيت السحاب يتقطع يمينا وشمالا يمطرون ولا يمطر أهل المدينة. (البخاري رقم ١٠١٥)

Prince of Songkla University Pattani Campus

٢ ــ الدعوة بمعنى النداء:

قال أبو هريرة ﷺ سمعت رسول الله ﷺ: ((حقّ المسلم على المسلم خمس: ردّ السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس)) (البخاري رقم ١٢٤٠). والدعوة في الحديث بمعنى النداء، يعني طلب الحضور والمجيء إلى شيء أو قضيّة.

وقال رسول الله ﷺ: ((من قال حين يسمع النداء: اللّهم ربّ هذه الدعوة التامّة والصلاة القائمة آت محمّداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلّت له شفاعتي يوم القيامة)) (البخاري رقم ٦١٤، مسلم رقم ١٩٥، النسائي رقم ٦٧٣، أبو داود رقم ٤٤٥، أحمد رقم ١٤٢٨٩) والدعوة في الحديث بمعنى النداء، يعني طلب الحضور والمجيء إلى حيث ما نودي إليه لأداء الصلوات.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: ((توفّي أبي وعليه دين فعرضتُ على غرمائه أن يأخذوا التمر بما عليه فأبوا و لم يروا أن فيه وفاء، فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فقال: إذا جددته فوضعته في المربد آذنت رسول الله ﷺ فجاء ومعه أبو بكر وعمر فجلس عليه ودعا بالبركة ثم قال: ادع غرماءك فأوفهم فما تركت أحدا له على أبي دين إلا قضيته وفضل ثلاثة عشر وسقا، سبعة عجوة وستة لون، أو ستة عجوة وسبعة لون، فوافيت مع رسول الله ﷺ المغرب فذكرت ذلك له، فضحك فقال: ائت أبا بكر وعمر فأخبرهما فقالا: لقد علمنا إذ صنع رسول الله ﷺ ما صنع أن سيكون ذلك. وقال هشام عن وهب عن جابر صلاة العصر و لم يذكر أبا بكر ولا ضحك. وقال وترك أبي عليه ثلاثين وسقا دينا. وقال ابن إسحاق عن وهب عن جابر صلاة الظهر. (البخاري رقم ٢٧٠٩)

Benadir University Bantami Campus

٤,١,٢ ــ دعوة خليل الرحمن إلى التوحيد

التوحيد في اللغة: جعل الأشياء شيئاً واحدا، كما قال تعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ (ص : ٥)

والتوحيد في الشرع: هو إفراد الله ﷻ بما يختصّ به من الربوبية والألوهيّة والأسماء والصفات. وللتوحيد أهمية:

١ ــ التوحيد هو الغاية من خلق الجن والإنس ، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات : ٥٦)

٢ ــ التوحيد هو أوّل دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾ (النحل : ٣٦)

٣ ــ التوحيد أوّل أمر في القرآن الكريم، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ٢١)

٤ ــ التوحيد هو أوّل حق على العباد، كما قال رسول الله ﷺ لمعاذ ﷺ : ((يا معاذ! هل تدري ما حقّ الله على العباد، وما حقّ العباد على الله ؟ فإن حقّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحقّ العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا)) متفق عليه (البخاري رقم ٢٦٤٤، مسلم رقم ٤٣)

٥ ــ التوحيد أوّل أمر يجب على الداعي أن يدعو الناس إليه، لقول الرسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ لما بعثه إلى اليمن: ((إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أوّل ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله)) متفق عليه (البخاري رقم ١٣٦٥، مسلم رقم ٢٨)

Prince of Songkla University Pattani Campus

٦ ــ التوحيد الكامل يسبب دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب، لقوله ﷺ: ((عرضت عليّ الأمم، فرأيت النبيّ ومعه الرهط، والنبيّ ومعه الرجل والرجلان، والنبيّ وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال: هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربّهم يتوكّلون)) (البخاري رقم ٥٩٩١، مسلم رقم ٣٢١)

٧ ــ التوحيد لم يخلد صاحبه في النار، لقوله ﷺ: ((فإن الله حرّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)) (البخاري رقم ٤٠٧، ومسلم رقم ٣٣)

٨ ــ التوحيد سبب الاستخلاف في الأرض، قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (النور : ٥٥) فالتمكين في الأرض يستلزم عبادة الله وحده لا شريك له ﴿ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ﴾ وبعد حصول التوحيد وتحقيقه يكون الاستخلاف والتمكين.

ونجد في القرآن الكريم غاية جهد خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في الدعوة في سبع وعشرين آية مبثوثة في إحدى عشرة سورة، نسردها حسب ترتيب المصحف الشريف:

١ ــ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ

أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (البقرة : ١٢٧-١٢٩)

٢ ــ قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة : ١٣١-١٣٣)

٣ ــ قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (البقرة : ٢٥٨)

٤ ــ قال تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام : ٨٠)

٥ ــ قال تعالى: ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾ (النمل : ١٢٥)

Prince of Songkla University Pattani Campus

٦ ــ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴾ (مريم : ٤٣)

٧ ــ قال تعالى: ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (الأنبياء : ٥٦)

٨ ــ قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ (الأنبياء : ٧٣)

٩ ــ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ * وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾ (الحج : ٢٦-٢٨)

١٠ ــ قال تعالى: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الشعراء : ٧٥-٧٧)

١١ ــ قال تعالى: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (العنكبوت : ١٦-١٧)

Prince of Songkla University Pattani Campus

١٢ ــ قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الصافات : ٨٥-٨٧)

١٣ ــ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الزخرف : ٢٦-٢٨)

١٤ ــ قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (الممتحنة: ٤)

وهذه بعض نصوص صريحة تدلّ على أن الغاية المحوريّة لدعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام إنّما هي تعبيد العباد لربّ العباد وتحريرهم من العبوديّة لغير خالق العباد إلى خالقهم ، فهو يدعو الناس إلى الاستسلام إلى الله حتى تتجسّد حقيقة التوحيد في واقع بشر يحيي لله ويتحرك باسم الله ويحقق وظيفته بإعمار الأرض وفق منهج الله وبذلك يحقّق عبادة الله بالمفهوم الشامل للعبادة.

فالدعوة لا تخلو عن المعارضة والعدو، لأنها هي الصراع بين الحق والباطل، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (الأنعام : ١١٢) فهذه الآية دستور الصراع بين الحق والباطل.

Prince of Songkla University Pattani Campus

وقد اقتضت مشيئة الله ـــ عزّ وجلّ ـــ أن يحتدم الصراع بين الحق والباطل، وأن يكون للحق أنصار ، وللباطل ـــ كذلك ـــ أعوان يؤمنون به ويدافعون عنه. وتمتدّ جذور الصراع بين الحق والباطل منذ أن خلق الله فيه آدم عليه السلام إلى يوم القيامة. وقد وجدنا تفصيلاً واضحاً عن الصراع بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، بدءاً من أبي البشر آدم عليه السلام إلى آخر رسل الله وخاتم النبيين، ويستمرّ ذلك الصراع إلى يوم القيامة. فنجد الصراع:

ـــ بين آدم عليه السلام وإبليس ـــ لعنة الله عليه ـــ.

ـــ وبين قابل وهابل ابنا آدم عليه السلام

ـــ وبين نوح عليه السلام وقومه

ـــ وبين خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ونمرود لعنة الله عليه.

ـــ وبين موسى عليه السلام وفرعون وأتباعه

ـــ وبين عيسى عليه السلام وقومه بني إسرائيل

ـــ وبين خاتم النبيين محمد ﷺ وقومه المشركين

وما زال ذلك الصراع إلى يومنا هذا ويستمرّ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لأن طبيعة الخير والشرّ متضادّتان لذلك لا التقاء بين الحقّ والباطل، ولا هوادة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطين حتّى يوم القيامة.

ودعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام هي الدعوة إلى التوحيد، وهي أن يدرك أنها انطلاقة التحرر من عبادة الناس إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن رقّ الشهوات إلى هدأة النفس المطمئنة إلى ربّها في مسارها الرحيب خلال دروب الحياة حين تنتظم أوامر الله ونواهيه في الأقوال والسلوك والمشاعر.

والدعوة إلى التوحيد هي الدعوة إلى «لا إله إلا الله وإثبات الرسول لله» وشهادة التوحيد ذات الشقّين: الشقّ الأوّل أنه «لا إله إلا الله» أي يدعوك إلى الإقرار بالله رباً ولا ربّ سواه. والشقّ الثاني «النبيّ المبعوث رسول الله» أي يدعوك إلى الإقرار بالنبيّ المبعوث رسولاً.

Prince of Songkla University Pattani Campus

وكلا الشقّين يقتضي شريعة يهتدي بها العباد، فالربّ الذي يرزق ويحيي ويميت ويشفي ولا بدّ أن يوضّح لعباده معالم الطريق إليه. ويوقفهم على مفاوزه وقواطعه ومسالك دروبه ولا يتركهم هملاً لا يقدرون على شيء مما كسبوا ومن هنا كانت الرسالة، وكان الرسول، وكان الإيمان بالإسلام ديناً.

إذن شهادة التوحيد تعني الإيمان بثلاثة أمور:

الأول : ربّ معبود ولا ربّ سواه

الثاني : رسول مبعوث من ربّ العالمين

الثالث: رسالة منزلة على قلب هذا الرسول ليسلك بالعباد سبيل الرشاد.

والإقرار بالعبودية لله الواحد القهّار يعني الإقرار باللسان، والتصديق بالقلب لهذا الإقرار، ويسبق ذلك كله بالضرورة، علم بالمشهود له بالإلهية.

وإذا أدركنا أن هذا العلم إنما يتعلق بذاته التي ليس كمثلها شيء. وأسمائه التي كلها حسنى، وصفاته التي كلها جلال وجمال، وأفعاله التي لا يقارفها شر. إذ الخير كلّه بيديه والشر ليس إليه، لأدركنا أن تصديق القلب بوحدانية الله يقتضي شعوراً بالهيبة لجلال ذاته ، مقروناً بالحبّ لكمال صفاته، ويقيناً بخير قضائه الذي يقتضيك دعاءه بأسمائه. واللجوء إليه عند نزول ما تكره من هذا القضاء. وهكذا تتسم عبوديتنا لله بالإجلال المقرون بالحب لذاته، الندي بدعائه بأسمائه وصفاته. الموثق باليقين في رحمته وحكمته وعدالته في جميع أفعاله. (الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤٠٥هـ : ١١٨ــ ١٢٠)

ومن لوازم الدعوة إلى التوحيد محبة أهل التوحيد ومناصرتهم بالنفس والمال وبغض أعدائهم، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (التوبة : ٢٤)

وقال ﷺ: ((ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحبّ المرء لا يحبّه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)) (البخاري رقم ١٦، ومسلم رقم ٤٣)

إنّ دعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام وسيرته فيها قد امتلأت بالعبر وحفلت بالمواقف، حيث قد فصل القرآن الكريم قصّته عليه السلام على نحو موسع في عدد كبير من السير وعدد كبير من آيات، وإن أوضح ما في قصته عليه السلام هو الصراع بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، وبين التوحيد والشرك. منها:

أ ــ دعوته بأسلوب الحوار والمجادلة والمناظرة مع نمرود في توضيح صفات الربوبية والألوهية، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة : ٢٥٨)

ونستخلص من الحوار والمجادلة والمناظرة أموراً منها:

١ ــ إن الداعي إلى الله يتحدّي الخصم ويلزمه الحجّة ويقطع كلّ سبيل ويوضّح صفات الربوبيّة والألوهيّة وبيان أن الله هو المعبود الحق. ثمّ لمّا خدع الملك والسلطان نمرود في ملكه الذي هو منحة له من الله أخذ يحاج إبراهيم في ربّه، فلم يجفل إبراهيم ولكنه حاوره وخاصمه، فخصمه بالحق وبالحجة الدامغة، وذاك شأن الدعاة المسلحين دائما بالحق وبحججه وبراهينه.

٢ ــ على الداعي أن يعد حججه وأسانيده، وأن يتسلح بالعلم والمعرفة، ويجيد مداخل الأمور ومخارجها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾ وهي حجة قاطعة دامغة ، جاءت عن بصيرة وعلم وتأمل في الكون والحياة (البقرة: ٢٥٨)

Prince of Songkla University Pattani Campus

٣ ــ إن الله تبارك وتعالى مع الحقّ، ومع الدعاة يبهت بهم أعداءه، وتلك سنته ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة : ٢٥٨)

ب ــ دعوته عليه السلام بأسلوب الحوار والمجادلة والمناظرة مع أبيه وقومه. وهو صراع حاد كان موجّها إلى أبيه ولكنّه مقصود به كل عابد الأصنام، وهو صراع متدرج من الأدني إلى الأعلى، أو من الأصغر إلى الأكبر، ولو لم يكن الداعية على بصيرة ما يستطيع أن يجادل بقوة ومنطق. إن والد الخليل إبراهيم عليه السلام وقومه كانوا يعبدون الأصنام، وكان أسلوب الخليل إبراهيم عليه السلام معهم أن يبطل لهم ما يعبدون، لينتقلوا بعد ذلك إلى عبادة رب العباد في حوار منطقي، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم

مُّهۡتَدُونَ * وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴾ (الأنعام : ٧٤ــ٨٣)

ونستخلص من الحوار والمجادلة أموراً منها:

١ ــ على الداعي استنكار عبادة غير الله ولو كان العابد والداً أو والدة للداعية. وهذا أقرب الناس إلى الإنسان، لكن الحقّ فوق القرابة وفوق الأبوة. قال تعالى: ﴿ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ (الأنعام : ٧٤)

٢ ــ على الداعي اتخاذ الوسائل والأساليب الملائمة لإبطال حجج من يعبدون غير الله. أبطل ربوبية الكواكب، لأنه يغيب ويختفي، ثم أبطل ربوبية القمر رغم أنه يبدو للناظر أكبر من الكواكب ثم يغيب ويختفي، ثم أبطل ربوبية الشمس وهي الأكبر بزوغاً وسطوعاً وإشراقاً لنفس السبب، وهي أنها ربّ يغيب ويختفي . ولا حضور له إلا بعد حين.

ثم اتّجه إلى تحديد الربّ الإله الذي لا يغيب ولا يختفي بل هو رب السموات والأرض والناس والأشياء، ثم أعلن براءته من هذا الشرك. ثم دار جدل من قومه فأعلن لهم أنه لا يخاف تلك الآلهة الضعيفة التي تغيب وتختفي، وأنهم هم الجديرون بالخوف لأنهم يعبدون من دون الله مالم يترّل به عليهم سلطانا، وطرح تساؤلا جاداً هو أي الفريقين أحق بالأمن المؤمنون أم المشركون.

وقد أسبغ الله على خليله إبراهيم عليه السلام من نعمه فآتاه الحجّة على قومه، ورفعه بذلك عنهم درجات، وحسبك بالفارق بين مؤمن ومشرك.

٣ ــ الثقة في أن الله سيلهم الدعاة إليه ما يقوّي به حججهم ويشدّ به أزرهم، ويرفع به من درجاتهم إذا هم صبروا وذلك وعد الله لدعاته في كل حين كما بدالنا ذلك في الآيات القرآنية الكريمة.

جـ ــ دعوته عليه السلام بالحوار والمجادلة مع أبيه وقومه من أجل التوحيد، مع

Prince of Songkla University Pattani Campus

السعي في إبطال الباطل ونبذ الشرك واستنكاره مع تغييره باليد فعلاً. قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ * قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ * وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ * قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ * فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ * قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ * وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ (الأنبياء : ٥١ــ٧٠)

Prince of Songkla University Pattani Campus

ونستخلص من الحوار والمجادلة ما يأتي:

١ ــ على الداعي أن لا يتصدّى للصّراع دون أن يكون له مستعدّ وعليه قادر وقد ملك البصيرة والأهليّة في هذا المجال ، يعني الرشد وهو تبيّن الحقّ من الباطل، ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ (الأنبياء : ٥١)

٢ ــ على الداعي طرح قضية التوحيد والشرك، أو الإيمان والكفر، بصراحة دون مواربة ودون خوف، ومواجهة الناس بما هم عليه من باطل ولغو، وجدالهم بالتي هي أحسن، وردّ الناس إلى الحقّ والصواب: ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ * قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (الأنبياء : ٥٢ ــ ٥٦)

٣ ــ على الداعي السعي في إبطال الباطل باستعمال الوسائل المقنعة بل الدامغة دون خوف أو وجل لأن الله ناصر الحق، كتب الله ذلك على نفسه، ومن أصدق من وعداً، وإخراج الخصم بإبطال ترهاته، وطرح الأسئلة التي تخرجه عن دائرة العقلاء، لو أجاب عليها إجابة يمليها العقل الرجح والمنطق السليم.

والاستمرار في الحوار والإقناع دون ملل، مهما طال أمده، ما دام الداعية متسلحا بالحق : ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ * قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ *

قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ * فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ (الأنبياء : 57 ــ ٦٨)

٤ ــ تحدى الحق بالباطل والسخرية منه ومن دعاته من سنّة الله في الدعوات والدعاة ، وهو لمّا دحضت حجّتهم وبان عجزهم وظهر الحق واندفع الباطل وأعيتهم الحيل كلّها في إبراهيم عليه السلام وإسكاته وضاقت عليهم الأرض بما رحبت عدلوا إلى استعمال العنف والشنيع وهو حرقه بالنار ﴿ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ (الأنبياء : ٦٨)

٥ ــ قد يمتحن الداعي إلى الله من أجل دعوته في أقرب الناس إليه، فلقد امتحن خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في أبيه ووالده فصبر، فإن حدث هذا فليس للداعية أن يجزع أو يخنع أو يتراجع، ذاك شأن الدعوة والدعاة، وتلك سنّة الله في الدعوات والناس، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنّة الله تحويلاً.

٦ ــ الثقة في نصر الله وتأييده في الوقت المناسب والمكان المناسب، لأن تلك إرادة إلهية عليا ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (الأنبياء: ٦٩) إن ثقة الداعي إلى الله وفي الله وفي الحق الذي يدعو إليه جعلت النار بامر الله برداً، وسلاماً من برد، ربّما يشتدّ على الداعي إلى الحق الذي يؤمن به ويحتسب ما يبذل في سبيله عند الله.

Prince of Songkla University Pattani Campus

٤,١,٣ ــ فتنة خليل الرحمن أثناء إقامة الدعوة

الفتنة هي المحنة والابتلاء، والمحنة من أهمّ عوامل التكوين والاختيار في الإسلام، والإيمان بحاجة إلى المحنة لسبر غوره وإدراك مداه، فالإيمان القوي الراسخ هو الذي يصمد في ساعة العسر، والإيمان السقيم فسرعان ما تكشفه المحن وتصدعه. وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ (العكبوت : ١٠-١١)

قضت سنة الله في الكون أن يكون الحق في صراع أبدي مع الباطل، كلما بزغ نور الحق تنادت عناكب الليل لطمسه ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (الصف : ٨) . لم تكن المحنة التي تعرض لها خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام إلا إحدى حلقات الصراع الممتدة عبر القرون الضاربة في أعماق أهل الباطل. نشأ الخليل في مجتمع جاهلي، كافر بكل القيم متطاول على نواميس الله، وأبت الفطرة السليمة مجاراة التيار والانسياق مع الرأي العام، والرضى والتسليم بالأمر الواقع، وصمم الخليل على التصدي للجاهلية ومقاومتها مهما كلف الأمر. وتبدأ المحنة في حياة الخليل الأعزل من كل سلاح، فرد يمتطي صهوة الحق وحيداً، ويعلن على أبيه وقومه وملكه النمرود ــ لعنه الله عليه ــ إيمانه بالله وكفره بما يعبدون من دونه.

خرج الخليل إبراهيم عليه السلام على قومه بدعوته وقال بحسم غاضب وغيرة على الحق: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ * قَالُوا۟

وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (الأنبياء : ٥٢-٥٦) (ابن كثير، ٢٠٠٤: ١١٨)

انتهى الأمر وبدأ الصراع بين إبراهيم وقومه، كان أشدّهم ذهولا وغضباً هو أباه الذي ربّاه، واشتبك الأب والابن في الصراع. فصّلت بينهما المبادئ فاختلفا؛ الابن يقف مع الله، والأب يقف مع الباطل. قال الأب لابنه: مصيبتي فيك كبيرة يا إبراهيم! لقد خذلتني وأسأت إليّ. قال إبراهيم: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا * يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾ (مريم : ٤٢-٤٥). انتقض الأب واقفاً وهو يرتعش من الغضب. وقال لإبراهيم وهو ثائر: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ (مريم : ٤٦) إذا لم تتوقف عن دعوتك هذه فسوف أرجمك، وسأقتلك ضرباً بالحجارة. هذا جزاء من يقف ضد الآلهة، اخرج من بيتي، لا أريد أن أراك. اخرج. انتهى الأمر وأسفر الصراع عن طرد إبراهيم من بيته. كما أسفر عن تهديده بالقتل رميا بالحجارة. رغم ذلك تصرّف إبراهيم كابن بارّ ونبيّ كريم. خاطب أباه بأدب الأنبياء. قال لأبيه رداً على الإهانات والتجريح والطرد والتهديد بالقتل: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا

تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾ (مريم: ٤٧-٤٨) (تفسير ابن كثير، ٢٠٠٢: ٣/١٨٢٥- ١٨٢٦)

خرج الخليل إبراهيم عليه السلام من بيت أبيه، وهجر قومه وما يعبدون من دون الله، وقرر في نفسه أمراً كان يعرف أن هناك احتفالاً عظيماً يقام على الضفة الأخرى من النهر، وينصرف الناس جميعا إليه، وانتظر حتى جاء الاحتفال وخلت المدينة التي يعيش فيها من الناس، وخرج إبراهيم حذراً وهو يقصد بخطاه المعبد. كانت الشوارع المؤدّية إلى المعبد خالية، وكان المعبد نفسه مهجوراً حيث انتقل كل الناس إلى الاحتفال. دخل إبراهيم عليه السلام المعبد ومعه فأس ثمّ هوى بفأسه على (الآلهة) الأصنام ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾. وتحوّلت الآلهة المعبودة إلى قطع صغيرة من الحجارة والأخشاب المهشمة إلاّ كبير الأصنام فقد تركه إبراهيم ولم تكسّره. فلمّا رجعوا إلى المعبد ورأوا ما حدث بآلهتهم: ﴿ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ عندئذ تذكر الذين سمعوا إبراهيم ينكر على أبيه ومن معه من عبادة التماثيل، ويتوعدهم أن يكيد لآلهتهم بعد انصرافهم عنها ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ (الأنبياء : ٦٠-٦١) وقد قصدوا إلى التشهير به، وإعلان فعلته على رؤوس الأشهاد، قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ؟ فهم ما يزالون يصرون على أنها آلهة وهي جداذ مهشمة. (المصدر السابق)

فأما إبراهيم فهو يتهكم بهم ويسخر منهن وهو فرد وحده وهم كثر. ذلك أنه ينظر بعقله المفتوح وقلبه الواصل فلا يملك إلا أن يهزأ بهم ويسخر ، وأن يجيبهم إجابة تناسب هذا المستوى العقلي: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ والتهكم واضح في هذا الجواب الساخر، فلا داعي لتسمية هذه كذبة من إبراهيم عليه السلام والبحث عن تعليلها بشتّى العلل التي اختلف عليها المفسّرون. فالأمر أيسر من هذا بكثير! إنما أراد أن يقول لهم: إن هذه التماثيل لا تدري من

Prince of Songkla University Pattani Campus

حطّمها إن كنت أنا أم هذا الصنم الكبير الذي لا يملك مثلها حراكا. فهي جماد لا إدراك له أصلا. وانتم كذلك مثلها مسلوبو الإدراك لا تميزون بين الجائز والمستحيل. فلا تعرفون إن كنت أنا الذي حطمتُها أن هذا التمثال هو الذي حطمها ﴿ فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ ويبدو أن هذا التهكم الساخر قد هزّهم هزًّا، وردّهم إلى شيء من التدبر التفكر:فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ وكانت بادرة خير أن يستشعروا ما في موقفهم من سخفن وما في عبادتهم لهذه التماثيل من ظلم. وان تتفتح بصيرتهم لأول مرة فيتدبروا ذلك السخف االذي يأخذون به أنفسهم، وذلك الظلم الذي هم فيه سادرون. ولكنها لم تكن إلا ومضة واحدة أعقبها الظلام، وإلا حفقة واحدة عادت بعدها قلوبهم إلى الخمود: ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ (الأنبياء:٦٣) وحقا كانت الأولى رجعة إلى النفوس، وكانت الثانية نكسة على الرؤوس؛ كما يقول التعبير القرآني المصور العجيب. كانت الأولى حركة في النفس للنظر والتدبر. أما الثانية فكانت انقلابا على الرأس فلا عقل ولا تفكير. وإلا فإن قولهم هذا الاخير هو الحجة عليهم. وأية حجة لإبراهيم أقوى من أن هؤلاء لا ينطقون؟ ومن ثم يجيبهم بعنف وضيق على غير عادته وهو الصبور الحليم لأن السخف يجاوز صبر الحليم: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ وهي قولة يظهر فيها ضيق الصدر وغيظ النفس ، والعجب من السخف الذي يتجاوز كل مألوف. عند ذلك أخذتهم العزة بالإثم كما تأخذ الطغاة دائما حين يفقدون الحجّة ويعوزهم الدليل، فيلجأون إلى القوة الغاشمة والعذاب الغليظ: ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ (الأنبياء:٦٣) (المرجع السابق)

Prince of Songkla University Pattani Campus

أجمل الله تعالى في سورة (الأنبياء) هذه المشاهد، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ * قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ * وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ * قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ * فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ (الأنبياء : ٥١ – ٦٨). بدأ الاستعداد لإحراق إبراهيم، وانتشر النبأ في المملكة كلّها، وجاء الناس من القرى والجبال والمدن ليشهدوا عقاب الذي تجرأ على الآلهة وحطمها واعترف بذلك وسخر من الكهنة، وحفروا حفرة عظيمة ملئوها بالحطب والخشب والأشجار، وأشعلوا فيها النار، وأحضروا المنجنيق وهو آلة جبارة ليقذفوا إبراهيم فيها فيسقط في حفرة النار، ووضعوا إبراهيم بعد أن قيدوا يديه وقدميه في المنجنيق. واشتعلت النار في الحفرة وتصاعد اللهب إلى السماء. وكان الناس يقفون بعيدا عن الحفرة من فرط الحرارة

اللاهبة. وأصدر كبير الكهنة أمره بإطلاق إبراهيم في النار. جاء جبريل عليه السلام ووقف عند رأس إبراهيم وسأله: يا إبراهيم. ألك حاجة؟ قال إبراهيم: أما إليك فلا. انطلق المنجنيق ملقيا إبراهيم في حفرة النار. كانت النار موجودة في مكانها، ولكنها لم تكن تمارس وظيفتها في الإحراق. فقد أصدر الله جل جلاله إلى النار أمرا. قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (الأنبياء : ٦٩) أطاعت النار فكانت ﴿ بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾. أحرقت قيوده فقط. وجلس إبراهيم وسطها كأنه يجلس وسط حديقة. كان يسبح بحمد ربّه ويمجده. لم يكن في قلبه مكان خال يمكن أن يمتلئ بالخوف أو الرهبة أو الجزع. كان القلب مليئاً بالحبّ وحده، ومات الخوف، وتلاشت الرهبة، واستحالت النار إلى سلام بارد يلطف عنه حرارة الجو (ابن كثير، ٢٠٠٢: ٣/١٩٠٤- ١٩٠٥)

جلس الدهماء والكبار والكهنة يرقبون النار من بعيد، كانت حرارتها تدفع في وجوههم صهدا حارقا تكاد تزهق أرواحهم. وظلت النار تشتعل فترة طويلة حتى ظن الكافرون أنها لن تنطفئ أبدا. فلما انطفأت فوجئوا بإبراهيم يخرج من الحفرة سليما كما دخل. وجوههم مسودة من دخان الحريق، ووجهه يتلألأ بالنور والجلال. ثيابهم احترق نصفها بسبب ما تساقط عليها من الأخشاب الملتهبة، وثيابه كما هي لم تحترق. عليهم أثر الدخان والحريق، وليس عليه أي اثر للدخان أو الحريق. خرج إبراهيم من النار كما لو كان يخرج من حديقة. وتصاعدت صيحات الدهشة الكافرة. خسروا جولتهم خسارة مريرة وساخرة. ﴿ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ (الأنبياء : ٧٠) (المصدر السابق)

٤,١,٤ ــ أهميّة دعوة خليل الرحمن

جدول (٧): شجرة أهمية دعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام

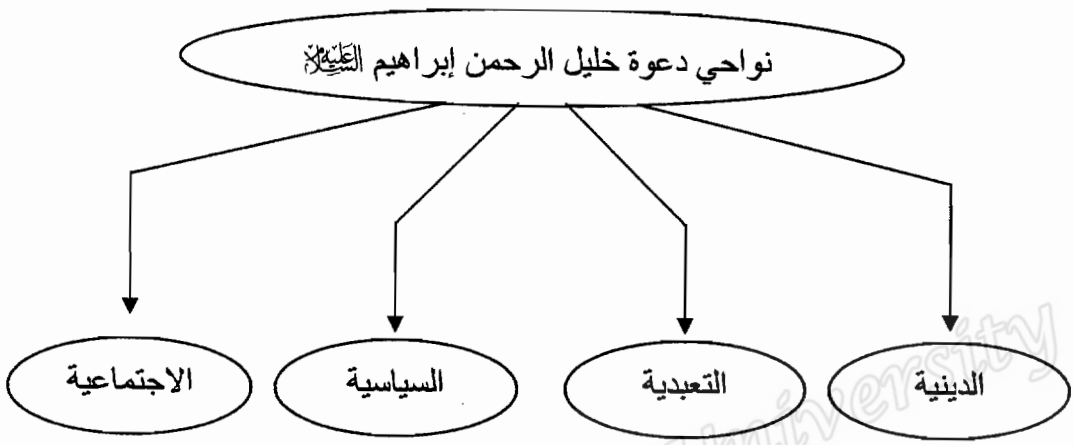

إن أحسن كلمة تقال هي كلمة الدعوة، وأحسن عمل يؤديه الإنسان هو عمل الدعوة إلى الله. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت : ٣٣) أي لا أحد أحسن منه قولاً. والدعوة إلى الله وظيفة الأنبياء والمرسلين جميعاً، وهي الدعوة إلى التوحيد مع الاجتناب عن الطاغوت. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (النحل : ٣٦). وقد كشف الله تعالى عن غاية جهد خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في الدعوة في أكثر من عشرين آية مبثوثة في أكثر من عشرة سور من كتاب الله، وهي نصوص صريحة الدلالة على أن الغاية المحورية لدعوة الخليل في حقيقته هو أمر الله ونهيه، أو عبادته بمفهومها الشامل الذي يستوعب كل خلجة في النفس وحركة في الحياة أي الاعتقادات الصحيحة والأقوال الحقّة، والسلوك المستقيم، وذلك ما يوافق حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة، إذ هو اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، وبذلك تكون ملّة إبراهيم أصل الإسلام الذي امتاز بفضله وهيمنته على جميع الأديان (التحرير والتنوير ١/٧٠٠، ١٣-١٥/٣١٤-٣٢١)

Prince of Songkla University Pattani Campus

٤,١,٤,١ــ أهمّيتها من الناحية الدينية

ونجد أهمّية دعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام من الناحية الدينية حيث أمر الله نبيّه وخليله إبراهيم عليه السلام بإقامة هذا الدين، كما أوصى نبيه نوح عليه السلام وموسى وعيسى بن مريم عليهم الصلاة والسلام. قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ (الشورى : ١٣) وقد أوصى خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام بنيه بإقامة هذا الدين وهو الإسلام، وكذلك قد وصّى به نبيّ الله يعقوب عليه السلام بنيه، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (البقرة : ١٣٢)

ومن أهمّية هذه الدعوة هي الأمر باتباع ملّة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، وهو المصطفين الأخيار وأنه إمام يقتدى به. ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران : ٦٨) وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام : ١٦١) وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (النحل : ١٢٣) وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (النساء : ١٢٥)

فهذه الآية تدل على أهمّية دعوة الخليل من الناحية الدينيّة.

Prince of Songkla University Pattani Campus

٤,١,٤,٢ــ أهمّيتها من الناحية التعبّدية

ونجد أهمّية دعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام من الناحية التعبدية حيث تركز عقيدة التوحيد لتحقيق التعبد الصحيح، فإن العبادة لا تقبل إلا بالتوحيد والإخلاص. والغاية من الدعوة إلى الله هي ترسيخ توحيد الألوهية في نفوس الذريّة، فخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام بوصيّته لبنيه أبقى توحيد الألوهية في عقبه يبثّونه في نفوس الناس، وهو الذي أحيى الله به التوحيد وبثّه في الأقطار والأمم من خلال دعوته الناس، حيث تنفع رسالته الأمة التي بعث فيها بطريق التبليغ ، وتنفع الأمم الأخرى بطريق القدوة. قال تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة : ١٣٣)

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ * قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ * وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ * وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ * وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ (الأنبياء : ٦٨-٧٣)

فهذه الآية دلالة واضحة على تركيز الدعوة في جانب العبادة.

Prince of Songkla University Pattani Campus

٤,١,٤,٣ــ أهمّيتها من الناحية السياسيّة

السياسة في اللغة: مصدر ساس يسوس سياسة. فيقال: ساس الدابة أو الفرس: إذا قام على أمرها من العَلَف والسقي والترويض والتنظيف وغير ذلك. وأحسب أن هذا المعنى هو الأصل الذي أُخِذ منه سياسة البشر. فكأن الإنسان بعد أن تمرس في سياسة الدواب، ارتقى إلى سياسة الناس، وقيادتهم في تدبير أمورهم. ولذا قال شارح القاموس: ومن المجاز: سُسْتُ الرعية سياسة: أمرتهم ونهيتهم. وساس الأمر سياسة: قام به. والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه.

وتعرِّفها موسوعة العلوم السياسية الصادرة عن جامعة الكويت بأنها: فن إدارة المجتمعات الإنسانية.

وحسب معجم (كامل): (تتعلّق السياسة بالحكم والإدارة في المجتمع المدني).

وتبعا لمعجم العلوم الاجتماعية: تشير السياسة إلى: أفعال البشر التي تتّصل بنشوب الصراع أو حسمه حول الصالح العام، والذي يتضمن دائما: استخدام القوة، أو النضال في سبيلها.

ويذهب المعجم القانوني إلى تعريف السياسة أنها: أصول أو فن إدارة الشؤون العامة.

وكلمة «السياسة» لم ترد في القرآن الكريم، لا في مكيِّه، ولا في مدنيِّه، ولا أي لفظة مشتقة منها وصفاً أو فعلا. ومن قرأ (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) يتبيّن له هذا. ولهذا لم يذكرها الراغب في مفرداته. ولا (معجم ألفاظ القرآن) الذي أصدره مجمع اللغة العربية.

وقد يتّخذ بعضهم من هذا دليلا على أن القرآن – أو الإسلام – لا يعني بالسياسة ولا يلتفت إليها.

Prince of Songkla University Pattani Campus

ولا ريب أن هذا القول ضَرْب من المغالطة، فقد لا يوجد لفظ ما في القرآن الكريم، ولكن معناه ومضمونه مبثوث في القرآن.

أضرب مثلا لذلك بكلمة «العقيدة» فهي لا توجد في القرآن، ومع هذا مضمون العقيدة موجود في القرآن كله، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، بل العقيدة هي المحور الأول الذي تدور عليه آيات القرآن الكريم.

ومثل ذلك كلمة «الفضيلة» فهي لا توجد في القرآن، ولكن القرآن مملوء من أوله إلى آخره بالحثِّ على الفضيلة، واجتناب الرذيلة.

فالقرآن وإن لم يجئ بلفظ «السياسة» جاء بما يدل عليها، وينبئ عنها، مثل كلمة «المُلك» الذي يعني حكم الناس وأمرهم ونهيهم وقيادتهم في أمورهم.

جاء ذلك في القرآن بصيغ وأساليب شتَّى، بعضها مدح، وبعضها ذم. فهناك المُلك العادل، وهناك المُلك الظالم، المُلك الشُوري، والمُلك المستبد.

ذكر القرآن في المُلك الممدوح: ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ﴾ (النساء:٥٤).

وذكر من آل إبراهيم: يوسف الذي ناجى ربه فقال: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ ﴾ (يوسف:١٠١)، وإنما قال من المُلك، لأنه لم يكن مستقلا بالحكم، بل كان فوقه مَلِك، هو الذي قال له: ﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ (يوسف:٥٤).

(http://www.qaradawi.net/site/topics/printArticle.asp?cu_no=2&item_no=4433&version=1&template_id=254&parent_id=12&static=1)

ونجد أهمّية دعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام من الناحية السياسية حيث إن الملأ هم الذين يسيطرون على القوم، هم الذين يدبرون أمور مجتمعهم، ويقودونهم بالهوى. والملأ من قوم إبراهيم عليه السلام هو النمرود ـــ لعنة الله عليه ـــ وأتباعه ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ

يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة : ٢٥٨)

٤,١,٤,٤ــ أهمّيتها من الناحية الاجتماعية

المجتمع: هو مجموعة من الأفراد والجماعات تعيش في موقع جغرافي واحد وتربط بينها علاقات اجتماعية وثقافية ودينية. ومن ذلك نجد أن العناصر التي تكّون المجتمع تتمثل في:

- ــ إدراك أفراد المجتمع وشعورهم بأنهم يكوّنون وحدة واحدة.
- ــ نطاق جغرافي يجمع أفراد المجتمع وجماعاته.
- ــ وجود نظام يسمح لأعضاء المجتمع بالتعبير عن آرائهم.
- ــ تمكّن المجتمع من إشباع الاحتياجات الأساسية لأفراده إلى حد ما.
- ــ وجود سلوكيات اجتماعية داخله مثل التعاون، التكافل والصراع.
- ــ بناء اجتماعي خاص به.

(http://www.fao.org/wairdocs/af199a/af199a02.htm)

والفرد هو اللبنة الأولى التي يتألف منها المجتمع، فالمجمع عدد من اللبنات، ولا بد من أن يكون هناك تعاون بين الفرد والمجتمع، فإذا زالت لبنة واحدة من البناء ظهرت ثغرة فيه فبان عواره أو تهدم كيانه، وإذا سدّ مكانها بشكل غير طبيعي وغير لبنة من نوعها بدا المظهر العام مشوها، لذا لا بدّ من أن يكون هناك توازن بين الفرد والمجتمع أو بين الكيان وأعضائه الذين يتكون منهم فلا يطغى الفرد بسلطانه على المجتمع فيذلّه أو بتصرفاته فيمزّقه (محمود شاكر، ١٩٩١: ٩/٥٤).

Prince of Songkla University Pattani Campus

ونجد أهمّية دعوة خليل الرحمن إبراهيم من الناحية الاجتماعية غاية الأهمية حيث إن الغاية المحورية لدعوته إنما تعبيد العباد لرب العباد، وتحرير العباد من العبودية لغير الله بأن لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له ، فهو يدعو الناس إلى الاستسلام كلية إلى الله الواحد القهار. وقد عرفنا أن خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام نشأ في مجتمع جاهلي كافر بكل القيم، وكان أهل حران يعبدون الكواكب، وكل من في وجه الأرض حينئذ كانوا كفاراً سوى خليل الرحمن وامرأته وابن أخيه لوط عليه السلام، ودعاهم الخليل إبراهيم وبين لهم أن هذه الأجرام المشاهدة من الكواكب النيّرة لا تصلح لأن تكون آلهة، ولا أن تعبد مع الله عز وجل لأنها مخلوقة مربوبة مصنوعة مدبرة مسخرة، تطلع تارة وتغيب أخرى، وتغيب عن العالم، والله لا يغيب بل هو الدائم الباقي بلا زوال، لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأما أهل بابل فكانوا يعبدون الأصنام والأوثان، فدعاهم الخليل وبين لهم أن هذه الأصنام والأوثان لا تصلح لأن تكون آلهة، لأنها لا تسمع داعياً ولا تنفع ولا تضرّ شيئاً، وإنما الحامل لهم على عبادتها الاقتداء بأسلافهم وقدمائهم الضلال من الآباء الجهال. وهذا برهان قاطع على بطلان إلهية الأصنام والأوثان. ولهذا قال لهم الخليل إنكاراً لهم: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الشعراء : ٧٢ــ٧٧)

٤,٢ ــ منهج دعوة خليل الرحمن وأساليبها ووسائلها

٤,٢,١ ــ التعريف بالمنهج

٤,٢,١,١ ــ المنهج في اللغة

كلمة المنهج من أصل مادة (ن هـ ج) نهج، ينهج، نهجاً ومنهجاً ومنهاجاً.

جاء في مختار الصحاح: نهج الطريق: أبانه وأوضحه، ونهجه : سلكه، والمنهاج : الطريق الواضح. (الجوهري، مختار الصحاح : ٣٦٤/١)

وفي القاموس المحيط: استنهج الطريق : صار نهجاً ، وفلان نهج سبيل فلان: أي سلك مسلكه. (فيروز آبادي، القاموس المحيط : ٢٦٦)

وفي لسان العرب: المنهج: الطريق الواضح المستقيم، ونهج الطريق: وضح واستبان، والمنهج: النظام والخطة المرسومة للشيء ، والمنهاج كالمنهج ، وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة:٤٨) (ابن منظور، لسان العرب: ٣٨٣/٢).

وقال الطبري[١] ـــ رحمه الله ـــ : " وأما المنهاج فإن أصله: الطريق البين الواضح ثم يستعمل في كل شيء كان بيناً واضحاً سهلاً. ومعنى الكلام: لكل قوم منكم جعلنا طريقا إلى الحق يؤمه، وسبيلاً واضحاً يعمل به" (الطبري، ١٩٩٢ : ٦٠٩/٤).

جاء في فتح الباري، فال ابن حجر[٢] ـــ رحمه الله ـــ : " والمنهاج: السبيل، أي الطريق الواضح" . وقال ابن عباس ـــ رضي الله عنهما ـــ . منهاجاً : سبيلاً وسنةً (ابن حجر، د.ت : ٤٦/١)[٣] وهو مروي عن مجاهد[٤] وعكرمة[٥]

---

(١) الطبري: هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، الإمام، الحافظ، المقرئ، المفسّر، الفقيه، المؤرخ الأصولي المجتهد، توفي سنة ٣١٠هـ (الذهبي، سير أعلام النبلاء : ٢٦٧/١٤)

(٢) ابن حجر : هو أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر بن محمد بن علي المشهور بابن حجر العسقلاني، الإمام، العلامة، الحافظ، المحدّث، الفقيه. توفي سنة ٨٥٢هـ (..، شذرات الذهب : ٢٧٠/٧)

(٣) (وانظر: الطبري ، ١٩٩٢ : ٦١١/٤ . وابن كثير، ٢٠٠٢ : ٦٩/٢)

(٤) مجاهد : هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي مولاهم ، المكي ، ثقة ، إمام التفسير ، توفي سنة ١٠٢هـ (الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ٤٤٩/٤ . وابن حجر، تقريب التهذيب : ٢٢٩/٢)

(٥) عكرمة : هو ابن عبد الله مولى ابن عباس ـــ رضي الله عنهما ـــ ثقة ثبت، عالم بالتفسير، قال عنه الحافظ ابن حجر: لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا يثبت عنه بدعة. توفي سنة ١٠٧هـ (الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ١٢/٥ . وابن حجر، تقريب التهذيب : ٣٠/٢)

Prince of Songkla University Pattani Campus

وقتادة[1] والحسن البصري[2] وغيرهم. (الطبري، ١٩٩٢ : ٦١٠/٤ ، ٦١٢ . وابن كثير، ٢٠٠٢ : ٦٨/٢ــ ٦٩)

٤,٢,١,٢ ــ المنهج في الاصطلاح

المنهج في الاصطلاح: هو الطريق الواضح في التعبير عن شيء أو في عمل شيء أو في تعلم شيء لمبادئ معينة وبنظام معيّن بغية الوصول إلى غاية معيّنة.(د.مصطفى مسلم ، ١٤١٥هـ : ١٤)

أو هو القواعد والضوابط التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية، كقواعد اللغة العربية وأصول العقيدة والفقه والتفسير حيث تضبط هذه العلوم دراسة الإسلام وأصوله. (عيسى مال الله فرج : ٢٠٠٧ : ص١٥)

قال ابن كثير ــ رحمه الله ــ : " أما المنهاج: فهو الطريق الواضح السهل، والسنن والطرائق " (ابن كثير، ٢٠٠٢ : ٦٩/٢).

المراد بالمنهج: المبادئ العامة التي تدعو إليها وبها الرسل لتكون منارات للدعاة في دعوتهم. وكان المنهج العام للرسل، عليهم الصلاة والسلام، في دعوتهم هو الدعوة إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبودية، ونبذ عامة الشركاء. كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (النحل :٣٦) (عيسى مال الله فرج، ٢٠٠٧ : ٧٤٦)

فمنهج دعوة الخليل إبراهيم عليه السلام هو تعبيد العباد لربّ العباد وإفراده بالعبوديّة التامة مع نبذ جميع الشركاء

---

(١) قتادة : هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري، إمام ، حافظ ، مفسّر ، ثقة ثبت. توفي سنة ١١٧هـ (الذهبي، سير أعلام النبلاء : ٣٦٩/٥ . وابن حجر، تقريب التهذيب : ١٢٣/٢)

(٢) الحسن البصري : هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري. كان من سادات التابعين وعلمائهم، ثقة ، فقيه فاضل مشهور ، توفي سنة ١١٠هـ (..، وفيات الأعيان : ٦٩/٢ . وابن حجر، تقريب التهذيب : ١٦٥/١)

٤,٢,٢ ــ أساليب دعوة خليل الرحمن ووسائلها

جدول (٨): شجرة منهج وأساليب ووسائل دعوة خليل الرحمن إبراهيم

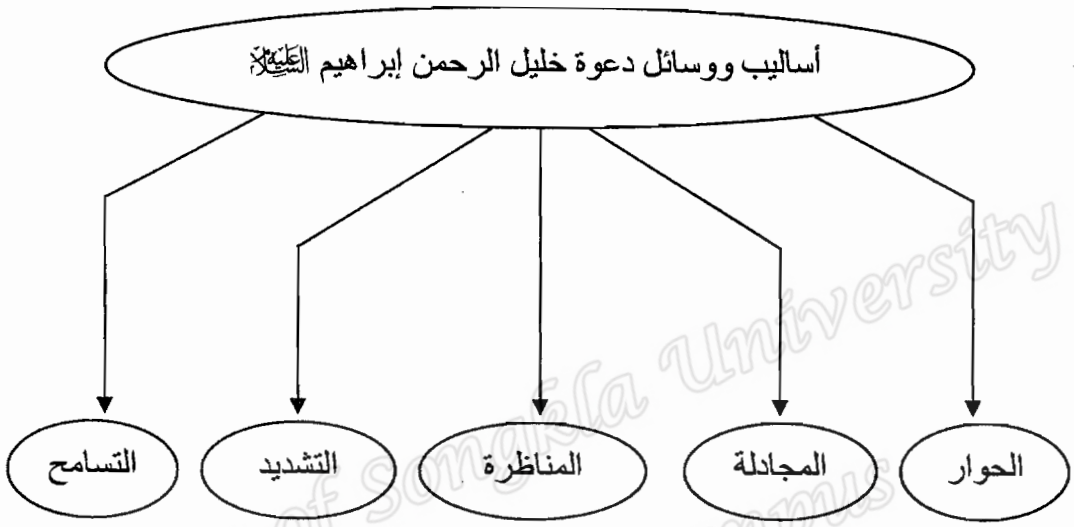

Prince of Songkla University Pattani Campus

٤,٢,٢,١ ــ الأسلوب في اللغة

كلمة الأسلوب في اللغة العربية: الطريقة أو المذهب

٤,٢,٢,٢ ــ الأسلوب في الاصطلاح

هو الطريقة أو المذهب الذي يلجأ إليه الداعي إلى الله ليحقق بذلك أهداف الدعوة إلى الله. وهو الصور اللغوية والبيانية التي ترد على ألسنة الرسل ــ عليهم السلام ــ في دعوتهم من كونها خبراً أو إنشاء أمراً أو نهياً، أو استفهاماً، أو حواراً ، أو قصصاً وما إلى ذلك مما هو كثير. (عيسى مال الله فرج، ٢٠٠٧ : ٧٤٦)

بلغ عدد الآيات التي تكشف عن الأساليب التي استخدمها خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في دعوته إحدى وسبعين آية في عشر سور[1] من كتاب الله. فإبراهيم عليه السلام كان يبذل جهده في دعوته وإعلاء كلمة الله تعالى وتثبيتها وترسيخها في الأنفس والآفاق بالأسلوب الحسن والعبارة الأنيقة الجميلة ، وهو يقاوم الشرك بالحجة وبالقوة وبإعلان التوحيد ، قد استخدم صنوفا من الأساليب تراوحت بين اللين والشدة ووالترغيب والترهيب والحوار والمناظرة والحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن والتلميح والتصريح والتوكيد والنفي وغير ذلك من الأساليب وفقا لحالات النفوس التي يدعوها وظروف الدعوة وموافقها المختلفة. ثم إن الخليل إبراهيم عليه السلام قد استوعب في دعوته أروع الأساليب وأبلغها ليكون إيمان الناس قائما على دعامة الفطرة نظرا واستدلالاً ونقلا وعقلا وعلما وعملا (التحرير والتنوير ج١٨ ، ١٣٦/١٩) وظهر إبراهيم عليه السلام وهو يجادل في الله جدالا حسنا لا تحامل فيه على المخالف ولا ترديل له ولا تقبيح، غايته إقناع الخصم والوصول إلى الحق . ومن ذلك نجد أن إبراهيم عليه السلام هداه ربه إلى صراط مستقيم في الدعوة إلى الله، ومن ثم جاء الأمر باتباع ملّته في التوحيد والدعوة إليه برفق وإبداء الدلائل مرة بعد أخرى والمجادلة مع كل أحد على حسب فهمه. (ابن كثير، ٢٠٠٢: ص٥٩١) وبذلك يكون الخليل إبراهيم عليه السلام قد رسم للدعاة من بعده معالم الطريق في تخيير أساليب الدعوة (سيدقطب، ١٩٨٦: ج٤/ص٢٢٠١)

ومنا هنا رأينا أن خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في مجادلته لأبيه وقومه والنمرود يسلك في دعوته مسالك الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى بصورة تتداخل فيها تلك الأساليب وتتعاضد لتحقيق دعوته أسباب الإقناع والقبول فهو حين يدعو أباه يستخدم معه أسلوبا يعرف فيه للأبوة مكانها فيحذر في عطف وينذر في لين ويلزم أباه الحجة في أدب رفيع فيتحلى جداله بالآداب الكريم والحجة البالغة.

---

(١) وهي البقرة و الأنعام والنحل ومريم والأنبياء والشعراء والعنكبوت والصافات والزخرف والممتحنة.

٤,٢,٢,٣ ــ الوسيلة في اللغة

كلمة الوسيلة في اللغة العربية: هي التوصل إلى الشيء برغبة

٤,٢,٢,٤ ــ الوسيلة في الاصطلاح

هي الطرق التي يتوصل بها الداعي إلى تبليغ دعوته. وهي العمل الذي يقوم به الداعي فيحقق به أهداف الدعوة إلى الله. (عيسى مال الله فرج، ٢٠٠٧ : ٧٤٨)

ارتبطت وسائل دعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في إيصال ما لديه من الحق للناس بطبيعة الاتصال الذي كان يجري بينه وبينهم. إن دعوته عليه السلام قامت على الاتصال المباشر، والقول هو الأصل في تبليغ الدعوة إلى الله. لذلك رأينا أن القول كان هو وسيلته الأساسية في إيصال دعوته لقومه، كذلك أن هذا القول هو الذي تحدد طبيعة المواقف التي تفرضها طبيعة المواجهة وقد تكون أنسب لحال المدعوين.

كذلك استخدم خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام وسيلة أخرى وهو يلجأ إلى الفعل لإيضاح معالم دعوته لقومه فإذا هو يحطم أصنامهم لتكشف بعجزها عن الدفاع عن نفسها وبطلانها عن أنها هي المعبود الحقيقي، وذلك ما يريد الخليل إبراهيم عليه السلام إقراره وترسيخه في النفوس أنه لا معبود بحق إلا الله وحده لا شريك له. ثم هو عليه السلام يبني البيت الحرام ويؤذن في الناس بالحج باعتبار أن بيت الله (الكعبة) رمز التوحيد.

ولا يقتصر الأمر في دعوة الخليل إبراهيم عليه السلام على تحطيم الأصنام وبناء البيت الحرام باعتبار ذلك وسائل تمكن لدعوته من الوصول إلى النفوس بل يقوم بأعمال أخرى هي في حقيقة الأمر تحسيد المعنى التوحيد وتحقيق له وتلك هي هجرته واعتزاله قومه ومفاصلتهم على الحق .

٤,٢,٢,٥ ــ أبرز منهج وأساليب ووسائل دعوة خليل الرحمن

ويمكن أن نذكر أبرز منهج وأساليب ووسائل دعوته عليه السلام ما يلي:

أ ــ الحوار

«الحوار» في اللغة: حاور يحاور حواراً ومحاورة. حاوره: جاوبه، الحوار: حديث يجري بين شخصين أو أكثر في العمل القصصيّ، أو بين ممثلين أو أكثر. وفي التنزيل : ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾ (الكهف: ٣٧)

«الحوار» في الاصطلاح : هو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتمّ فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب. ومثال ذلك ما يكون بين صديقين في دراسة أو زميلين في عمل أو مجموعة في ناد أو مجلس أو سهرة. (الندوة العالمية للشباب الإسلامي، في أصول الحوار: ص١١)

لعل من المفيد أن يفرق المرء بين الحوار والجدال تفريقا يوضّح مدلول كل منهما، فالحوار يلتقيان في أنهما حديث أو مناقشة بين طرفين، لكنهما يفترقان:

أما الحوار فهو مراجعة الكلام والحديث بين طرفين ينتقل من الأول إلى الثاني ثم يعود إلى الأول وهكذا، دون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدل بالضرورة على وجوب الخصومة. وأما الجدال فهو على الأغلب اللدد في الخصومة وما يتصل بذلك، لكن في إطار التخاصم بالكلام. فالجدال والمجادلة والجدل كل ذلك ينحو منحى الخصومة ولو بمعنى العناد والتمسك بالرأي والتعصب له.

ونجد في القرآن الكريم نماذج كثيرة من الحوار؛ منها ما دار بين الله ﷻ وخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام عندما طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى:

قال إبراهيم عليه السلام : ربّ أرني كيف تحيي الموتى؟

Prince of Songkla University Pattani Campus

قال الله ﷻ : أو لم تؤمن؟

قال إبراهيم عليه السلام : قال بلى ولكن ليطمئنّ قلبي

قال الله ﷻ : قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهنّ جزءا ثمّ ادعهنّ يأتين سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم. (البقرة : ٢٦٠)

ومنها ما دار بين الله ﷻ وإبراهيم عليه السلام حين هم أن يذبح ابنه عليه السلام

قال إبراهيم عليه السلام : يا بنيّ إني أرى في المنام إني أذبحك ، فانظر ماذا ترى؟

قال إسماعيل عليه السلام: يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين. (الصافات : ١٠٢)

ومنها ما دار بين الله ﷻ وملائكته في موضوع خلق آدم عليه السلام (البقرة : ٣٠ – ٣٢)، ومن ذلك قصة موسى عليه السلام حين طلب من ربه أن يسمح له برؤيته (الأعراف : ١٤٣)، وقصة عيسى عليه السلام إذ سأله ربه عما إذا كان طلب من الناس أن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله (المائدة : ١١٦)، وقصته عليه السلام مع العبد الصالح (الكهف : ٦٥) ومنها الحوار في قصّة صاحب الجنتين (الكهف : ١٨)، وقصّة قارون مع قومه (القصص : ٧٦)، وقصّة داود مع الخصمين (ص: ٢١)، وقصّة نوح عليه السلام مع قومه (الأعراف: ٥٩)، وشعيب عليه السلام مع قومه (هود: ٨٤)، وقصة ابني آدم عليه السلام (المائدة : ٢٧)، والحوار بين السادة والأتباع الذين أضلّوهم يوم القيامة (سبأ : ٣١) وغيرها من الأمثلة الكثيرة في الكتاب العزيز، وكلها تدلّ على أهميّة الحوار.

ولأهميّة الحوار وضرورته والمزيد منه نظمت رابطة العالم الإسلامي على عقد المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار، وقد راعى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود بافتتاح أعمال المؤتمر ودعا المشاركين من العلماء والمفكّرين أن يقولوا للعالم من خلال هذا الاجتماع أننا صوت عدل، وقيم إنسانية أخلاقية، وصوت تعايش وحوار عاقل وعادل وصوت حكمة وموعظة وجدال بالتي هي أحسن. (الرابطة. العدد ٥٠٥ جمادى الآخرة ١٤٢٩ الموافق يونيو ٢٠٠٨م ص٧)

Prince of Songkla University Pattani Campus

وللحوار أهداف ومحاذير. يقول الدكتور سعد الشمرائي:

الحكم على الحوار حرمة وجوازا وقوة وضعفاً، إنما يكون بمعرفة أهدافه، إذ أن القاعدة الشرعية تنص على أن الأمور بمقاصدها.

الحوار الذي نعنيه ليس حوار التقريب بين الأديان، فهو محرم محذور، إنما حوار التعايش الحضاري لا يعدم المحاور قاعدة منطقية للحوار، إلا ويجد دليلها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.لغ مئة وعشرين موقفاً شغلت نحو ألف آية من كتاب الله، أي ما يعادل ثلث القرآن.

المواقف الحوارية في القرآن تبلغ مئة وعشرين موقفا شغلت نحو ألف آية من كتاب الله، أي ما يعادل ثلث القرآن.

وكذلك السنة النبوية عامرة بالمواقف الحوارية الرائعة والمناظرات المقنعة وسيرته العملية، وعلى إثر النبي ﷺ درج الصحابة رضوان الله عليهم.

أما أهمّ الأهداف المشروعة للحوار فهي:

١ ــ الدعوة إلى الله.

٢ ــ بيان الباطل.

٣ ــ رد الشبهات وكشف زيفها وتحصين الآخرين م الوقوع فيها.

٤ ــ إصلاح الصور النمطية المشوهة عن الإسلام.

٥ ــ إظهار وبيان سماحة الإسلام.

٦ ــ المعذرة إلى الله تعالى في أداء الأمانة والشهادة على الناس.

٧ ــ إقامة العدل ودفع الظلم.

٨ ــ الفهم المتبادل بين الإسلام ومخالفيه.

٩ ــ التعاون لتحقيق مصالح مشتركة والدفاع عن القيم الفاضلة.

١٠ــ درء المفاسد عن المسلمين.

إن المسلم الحصيف لا يخاف من الحوار ما دام متحلياً بمواصفات محققاً لشروطه وضوابطه وآدابه.

Prince of Songkla University Pattani Campus

الإسلام عزيز بعزّة الله وحفظه لأنه دينه الذي ارتضاه فلا يتطرق الخوف ولا الضعف إليه.

ونذكر فيما يلي محاذير ينبغي للمسلم توقيها عند الدخول في الحوار:

١ ــ الوقوع في الولاء مع من يحاور وعد البراءة من الكفر.

٢ ــ الوقوع في دعوة التقريب بين الأديان.

٣ ــ والشعور بالدونية أمام استعلاء المحاور المخالف.

٤ ــ تقديم التنازلات عن الثوابت والمسلمات

٥ ــ عدم الجهر بالحق وبيان حقائق الإسلام ومبادئه العظام.

٦ ــ حق الاهتمام بالحوار مع الغرب وإغفال الشعوب والأمم الأخرى.

إن الإسلام هو دين الحوار، ولكنه حوار بلا عنف ولا ضعف، حوار وسطي: لا إفراط ولا تفريط، ونسأل الله نكون قد وفقنا فيما ذكرنا من الأهداف والمحاذير. والله وليّ التوفيق. (الرابطة. العدد ٥٠٥. جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ الموافق يونيو ٢٠٠٨م ص٩١-٩٢)

Prince of Songkla University Pattani Campus

ب ــ المجادلة

«المجادلة» في اللغة: جادله مجادلة وجدالاً: ناقشه وخاصمه، والجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها، وهو شدة الخصومة، وفي الحديث : ((**ما أوتي الجدل قوم إلا ضلّوا**)) والجدل: مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة. (ابن منظور، ١٩٩٢ : مادة دعا).

والجدل والجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم. أصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رآيه. والجدل: هو طبع من طبيعة الإنسان، وقد قال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ

جَدَلاً ﴾ (الكهف : ٥٤) وأمر الله رسوله ﷺ أن يجادل المشركين بالطريقة الحسنة، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل:١٢٥) كما أباح مجادلة أهل الكتاب بتلك الطريقة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (العنكبوت : ٤٦)

و«المجادلة» في الاصطلاح : اختلف العلماء في تعريف المجادلة إلى تعريفات متعددة ومتشابهة، منها :

«المجادلة» : عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة.

«المجادلة» : مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها.

«المجادلة» : مقابلة الأدلة لظهور أرجحها.

والمجادلة قد تكون بالحسنى وقد تكون بالباطل، لذلك فقد قسّمها العلماء إلى قسمين:

١ ــ المجادلة الممدوحة: هي التي يهدف إلى إحقاق الحق ونصرته، ويكون بأسلوب صحيح مناسب، ويؤدي إلى خير. وهي التي شرعها الإسلام ورضي بها. ولذا جاء الأمر به في القرآن الكريم مقيّداً بالتي هي أحسن.قال تعالى: ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل : ١٢٥)، والمجادلة بالتي هي أحسن كما يقول الشنقيطي في تفسيره: " أمر الله ﷻ نبيّه في الآية الكريمة أن يجادل خصومه بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة من إيضاح الحق والرفق واللين" (الشنقيطي، ١٤٠٠هـ : ٣٨٥/٣). وقال الزمخشري: " بالطريقة التي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف " (الزمخشري ، ١٩٩٥ : ٤٣٥/٢). وقد جاء أيضاً التوجيه الإلهي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ

وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (العنكبوت : ٤٦) قال الألوسي: إلا بالتي هي أحسن أي الخصلة التي هي أحسن كمقابلة الخشونة باللين، والغضب بالكظم، والمشاغبة بالنصح، والثورة بالأناة كما قال تعالى ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ (فصلت : ٣٤) " (الألوسي، ١٩٨٩: ٢١/٢)

وكانت المجادلة بالحسنى أكثرها مستخدمة كأسلوب من أساليب دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

٢ ــ المجادلة المذمومة: هي التي لا يهدف إلى ذلك و لم يسلم أسلوبه ولا يؤدي إلى خير. وهي المنهية في الإسلام. قال تعالى: ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ ﴾ (غافر : ٥) وعن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((**ما ضلّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**)) (الترمذي رقم ٥/٥٥) ثمّ تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ (الزخرف : ٥٨) أي الجدال المذموم الذي يقصد به الهوى ونصرتها ولوكان باطلا.

والهدف من الجدل والمجادلة هو إظهار الحق وإقامة البرهان على صحته، وهي الطريقة التي يستعمل عليها جدل القرآن الكريم في هداية الكافرين وإلزام المعاندين بخلاف جدل أهل الأهواء فإنها مجادلة باطلة وقد بيّنها تعالى في قوله: ﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ ﴾ (الكهف : ٥٦). وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾ (الحج : ٨). والأمثلة كثيرة جداً في الكتاب العزيز، وقد وردت مادة الجدال في تسع وعشرين موضعاً في القرأن الكريم يغلب عليها جميعا أن تكون إما في سياق عدم الرضا عن الجدال ، وإما في سياق عدم جدواه.

Prince of Songkla University Pattani Campus

ج ــ المناظرة

«المناظرة» في اللغة: مرادف للمجادلة

«المناظرة» في الاصطلاح: هي حوار يقوم بين اثنين أو أكثر حول قضية من القضايا يبدي كل طرف من أطراف الحوار وجهة نظره في الموضوع المطروح للمناظرة يهدف إلى إحقاق الحق والدفاع عنه بالحجة والبرهان (المرشد، ١٩٨٩:١٨١)

ونجد في القرآن الكريم مناظرة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام مع الملك الجبار المتمرد الذي ادعى لنفسه الربوبية، وهو نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح عليه السلام (قاله مجاهد). وكان طغى وبغى وتجبر وعتا وآثر الحيا الدنيا. ولما دعاه إبراهيم الخليل إلى عبادة الله وحده لا شريك له، حمله الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الصانع، فحاجّ إبراهيم الخليل في ذلك وادعى لنفسه الربوبية.

قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ

قال نمرود : ﴿ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ ﴾ قال قتادة والسدي ومحمد ابن إسحاق: يعنى أنه إذا أوتي بالرجلين قد تحتم قتلهما، فإذا أمر بقتل أحدهما وعفا عن الآخر فكأنه قد أحيا هذا وأمات الآخر. فقول هذا الملك الجاهل (أنا أحيي وأميت) إن عني أنه الفاعل لهذه المشاهدات فقد كابر وعاند، وإن عني ما ذكره قتادة والسدي ومحمد بن إسحاق، فلم يقل شيئاً يتعلق بكلام خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، إذ لم يمنع مقدمة ولا عارض الدليل. ولما كان انقطاع مناظرة هذا الملك الجبار قد تخفي على كثير من الناس ممن حضره وغيره، ذكر دليلا آخر بيّن وجود الصانع وبطلان ما ادّعاه نمرود

قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾

سكت الملك عن مناظرة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام وعجز عن الرد بل انقطع وسكت، فبيّن صلاله وجهله وكذبه فيما ادعاه وبطلان ما سلكه وتبجح به عند جهلة قومه، ولم يبق له كلام يجيب خليل الرحمن يه.

د ـــ التشديد

«التشديد» في اللغة: شدّد، يشدّد، تشديد، شدّد الشيء: قواه وأحكمه. وشدّد الحرف: ضعّفه وأدغمه. (المعجم الوسيط، ١٩٨٠: ص٧٤٥) قال ابن منظور: التشديد خلاف التخفيف، وشاده مشادة وشداداً غالبه، وفي الحديث: "من يشاد هذا الدين يغلبه الدين"، أي من يقويه ويقاومه، ويكلف نفسه من العبادة فوق طاقته، والمشادة المغالبة، وهو مثل الحديث الآخر: "إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق"، والمتشدد البخيل، كالشديد. (ابن منظور، ١٩٩٤ : ٢٣/٢٣٢- ٢٣٣)

والمقصود بـــ«التشديد» هنا: هو الحرص والسعي إلى تثبيت العقيدة والتوحيد وترسيخها في النفوس لحماية الدين وتعاليمه، وإحقاق الحق وإبطال الباطل. وليس المراد به الغلو والتنطع والتطرف في الدين ومجاوزة الحد واتباع الهوى. والتشدد عدم قبول الآخر على أي شيء كان، ولكن التشدد الذي هو آفة الآفات وغاية الشرور وسبيل هدم الدين وتمزيق الجماعة هو الغلو في التكفير واستحلال دمه وماله بذلك، وكل ما يفعله المتشدد أنه ينفر الناس من الفكر الذي يعتنقه، ويتشدد فيه لسوء سلوكه وسوء معاملته لمن حوله، مما يدفعهم بحسب الطبيعة لأن يكرهونه ويكرهون ما هو عليه ولا يترك لهم مجال للتفكر فيما أتي به من فكر أو رأي أو ما إلى ذلك ولو كان على حق. (عبد الرحمن عبد الخالق، (د.ت.) : ١٢٤)

Prince of Songkla University Pattani Campus

وصورة التشدد في الدين هو كما حدث فيمن كان قبلنا من اليهود والنصارى، فغلوّ اليهود في عيسى عليه السلام حتى قذفوا مريم، وغلوّ النصارى فيه عليه السلام حتى جعلوه ربًّا، ولهذا قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ (النساء:١٧١) وقال عليه الصلاة والسلام: ((يا أيها النّاس إيّاكم والغلوّ في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)) (ابن ماجة رقم ٣٠٢٠، النسائي رقم ٣٠٠٧)

وإنما تشديد الخليل إبراهيم عليه السلام هو التثبيت بمواقفه القويّة وعقيدته الإيمانية في تحقيق التوحيد وإفراد الله تعالى في العبادة. كما في قوله تعالى حكاية عنه : ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾ (الشعراء : ٧٠)

وقال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا * يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾ (مريم : ٤-٤٥)

وقال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ * أَئِفۡكٗا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الصافات: ٤٥-٤٧)

وقال تعالى: ﴿ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴾ (الصافات: ٩٥)

وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ (الزخرف: ٢٦)

وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ (الأنبياء: ٥٧)

هذه النصوص تدلّ على تشديد خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في دعوته وهو الموقف الثابت في الدعوة الإسلامية.

هـ ـ التسامح

«التسامح» في اللغة: سَمُحَ (السين والميم والحاء) أصل يدل على سلالة وسهولة. يقال: سمح له بالشيء، ورجل سمح أي جواد، وقوم سمحاء وساميح. المسامحة في الطعام والضرب إذا كان على مساهلة. (أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ١٩٩١ : ٩٩/٣). سَمَح يَسْمَحُ سَمَاحاً وَسَمَاحَةً : جاد ، سمح له : أعطاه. وسَمُح سَمْحاً: سهلة، المسامحة: المساهلة، وتسامحوا: تساهلوا (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ١٩٩٩: ١٥٣). وتسامح، يتسامح، تسامح. تسامح في كذا: تساهل. سامحه بكذا: وافقه على مطلوبه. سامحه بذنبه: عفا عنه، ويقال في الدعاء "سامحك الله" (المعجم الوسيط، ١٩٨٠: ص٤٤٧)

والمقصود بـ«التسامح» هنا هو العفو والصفح والحلم والرحمة. فهي خلق إسلامي رفيع وعلاج ناجع لأغلب مشكلات. والتسامح كلمة محببة إلى النفس، والإسلام دين التسامح ينبذ العنف والكراهية، ويدعو إلى التعاون والسلام والتعامل بالبر مع المخالفين، والبشرية في نظر الإسلام أسرة إنسانية واحدة، وقد وصف الله المسلمين بأنهم أمة تدعو إلى الخير والتسامح والمحبة.

Prince of Songkla University Pattani Campus

والعفو لا يتحقّق إلا بوجود ثلاثة شروط وهي:

١ ــ أن يلقى أشدّ الإساءة من أعدائة.

٢ ــ أن تدور الدائرة على هؤلاء فيقعون في قبضته ويصبحون تحت رحمته

٣ ــ أن يملك هو القدرة على القصاص منهم (خوجة، د.ت : ٢٢٧)

٤,٣ ــ أصناف المدعوين في عهد خليل الرحمن

جدول (٩): شجرة أصناف المدعوين في عهده عليه السلام

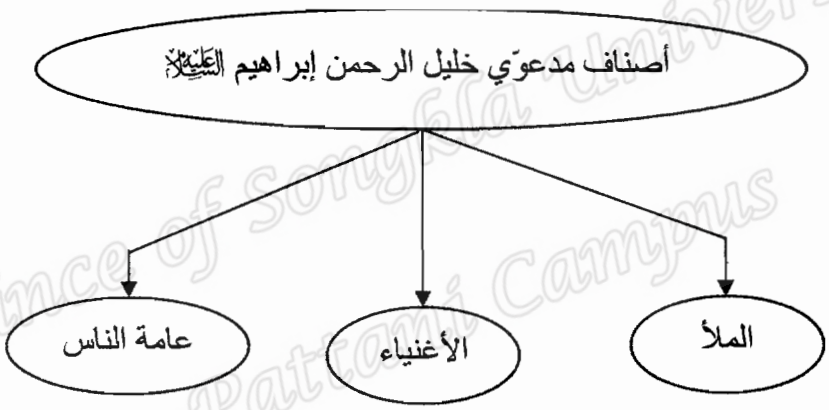

Prince of Songkla University Pattani Campus

المقصود بالمدعوين: أي إنسان كان هو المدعو، لأن الإسلام رسالة الله للعالمين، فكل إنسان مخاطب بالإسلام ومكلف بقبوله والإذعان له، مهما كان جنسه ونوعه ولونه ومهنته وإقليمه وكونه ذكراً أو أنثى إلى غير ذلك من الفروق بين البشر. فدعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في ذلك العصر شملت كافة الحلقات التي تؤلف في مجموعها المجتمع البشري في تنوعه العمري والاجتماعي والثقافي والمستويات المختلفة. وكشفت عن اختلاف المدعوين من حيث الإيمان والكفر وطبيعة الاحتياج إلى الدعوة والظروف والملابسات التي تحيط بكل مدعو من الصفات والخصائص ومن حيث موقفهم من الدعوة. ويتّضح لنا أن خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام قد دعا أبناءه وأباه وقومه والملك وعامة الناس.

ويمكن تقسيم أصناف المدعوين في عهد الخليل إبراهيم عليه السلام كما يأتي:

٤,٣,١ــ الملأ

الملأ هم أشراف القوم وقادتهم ورؤساؤهم وساداتهم، فهم البارزون في المجتمع وأصحاب النفوذ فيه الذين يعتبرهم الناس ــ حسب مفاهيم المجتمع ــ أشرافاً وسادة ، ومن ثمّ يستحقّون ــ في عرف الناس ــ قيادة المجتمع والزعامة والرئاسة فيه.

والملأ هم الملأ في كل أمة، وفي كل مجتمع، وفي كل قوم، وفي كل مكان وزمان، من لدن نوح عليه السلام إلى يوم القيامة. والوصف الغالب على الملأ معاداتهم للدعوة إلى الله تعالى، ومخاصمتهم للرسل عليهم الصلاة والسلام وعداوتهم لهم ورفضهم دعوتهم ، فقد قاوموا دعوة الرسل الكرام إلى الله تعالى، وقادوا حملة الكذب والافتراء والتضليل ضدّ أنبياء الله تعالى، وهم يقفون غالباً في وجه كل دعوة إسلامية ويحاربونها دائما مستمراً. ولا شك أن الملأ عدو للإسلام والمسلمين لا سيّما الدعاة من الأنبياء والمرسلين ومن تابعهم إلى يوم الدين. قال السدي[1] ــ رحمه الله ــ : "لم يبعث نبي قط إلا كان المجرمون له أعداء، و لم يبعث نبي قط إلا كان بعض المجرمين أشد عليه من بعض" (السيوطي، ٢٠٠٣ : ٦/٢٥٤)

ونجد الملأ في التاريخ كما أطلق عليه القرآن الكريم :

ــ الملأ من قوم نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأعراف : ٥٩-٦٠) فالملأ من

---

(١) السدي: هو إسماعيل بن عبد الرحمن ابن أبي كريمة الحجازي الأعور السدي أحد مولي قريش، وهو المفسر ذكره ابن حبان الثقات ووثقه غير واحد وضعفه آخرون (الذهبي، ١٩٩٨: ٥/٢٦٤)

قوم نوح عليه السلام في هذه الآية تصدّوا للدعوة ونسبوا نبيّهم إلى الضلال، وبدلاً من رؤيتهم الحق الذي جاءهم به نوح من ربه رأوه ضلالاً ونوره ظلاماً، وادعون أن هذا الضلال بين ظاهر واضح، وهكذا منطق الملأ، وهو في الحقيقة دليل على عدم رؤيتهم الحق. وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ (هود : ٢٧) فالملأ من قوم نوح عليه السلام في هذه الآية يرون أن اتباع الرسول أراذل القوم وهم الفقراء والضعفاء وأصحاب الحرف الخسيسة، ولم يتبعه السادة والأشراف والقادة والرؤساء فكيف نكون معهم. وقال تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون : ٢٤) فالملأ من قوم نوح عليه السلام في هذه الآية ـــ دفاعا من رياستهم على الناس ـــ يقولون إن نوحا يريد أن يتفضّل عليكم، يعنى يترفع ويتعاظم ويترأس عليكم، ويريد بهذا الادعاء صرف الناس عن نوح عليه السلام لتبقى سيطرتهم ورياستهم عليهم.

ـــ الملأ من قوم هود عليه السلام قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (الأعراف : ٦٦) والمقصود بالسفاهة : الحمق وخفة العقل. فالملأ من قوم هود وهو «عاد» في هذه الآية يرون ما يدعوهم إليه نبيّهم حمقا وخفة عقل.

ـــ الملأ من قوم صالح عليه السلام قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ * قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا

بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ (الأعراف : ٧٥-٧٦) فالملأ من قوم صالح وهو «ثمود» مصرّين على جهالتهم وإنكارهم نبوة صالح عليه السلام

ـــ الملأ من قوم موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ (الأعراف : ١٢٧) فالملأ من قوم موسى وهو «فرعون» يعتبرون موسى عليه السلام نبي الله وأتباعه المؤمنون مفسدون في الارض ويؤلبون فرعون على مقاومتهم والقضاء عليهم.

ـــ الملأ من قريش قال تعالى: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾ (ص : ٦) فالملأ من قريش في هذه الآية قالوا إن هذا الذي يدعونا إليه محمد ﷺ من التوحيد لشيء يريد به الشرف عليكم والاستعلاء ولسنا نجيبه، والحقيقة أن الملأ من قريش حرصاً منهم على الرياسة والجاه رفضوا دعوة الإسلام لظنهم أنها تفقدهم جاههم وسلطانهم على الناس.

ـــ والملأ من قوم إبراهيم عليه السلام النمرود وأتباعه، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة : ٢٥٨)

ومن دوافع وأسباب عداوة الملأ للدعوة إلى الله:

١ ـــ الكبر: وهو بطر الحق وغمط الناس. وهو خلق ذميم وآفة عظيمة مستقرة في النفوس وتظهر آثاره في الخارج أشكال مختلفة ، ومن آثاره عدم رؤية الحق، أو رؤيته ولكن الكبر يمنع من الاعتراف به والانقياد له، كما يمنع الاعتراف بالفضل

Prince of Songkla University Pattani Campus

لأولى الفضل. وقد يمنع المتكبر الذي من الرؤية الصحيحة لقدر نفسه فيراها فوق أقدار الناس فيستنكف أن يكون معهم أو تابعا لأحد منهم، وقد يقترن الحسد مع الكبر فيزيد من آثاره سوءاً وصدوداً عن الحق وجحداً له ومحاربة لأهله وعداوة لهم. والملأ يتصفون بهذه الصفة.

٢ ــ حبّ الرياسة والجاه: وهو حبّ تصدّر القوم بالسيادة والرئاسة والقيادة، والتسلّط على رقابهم للشرف، وجعل القوم والمجتمع تابعين لهم. والملأ يتصفون بهذه الصفة، وهم يتصورون أن قبولهم الدعوة إلى الله يسلبهم جاههم وسلطانهم.

٣ ــ الجهالة: وهي عدم العلم والمعرفة بالحقيقة. والملأ يتصفون بهذه الصفة، فهم يكفرون بربه ويردون الدعوه الكريمة التي بعث بها رسله إلى الناس ويصفها بأنها ضلال، ويرميهم بالسفاهة وخفة العقل.

فالملأ من قوم إبراهيم «نمرود» ابن كنعان، وهو المتصف بالصفات الأربعة، وأوّل جبار في الأرض[1] وكان جباراً أربعمائة سنة. لما خرج إبراهيم عليه السلام من النار أدخلوه على الملك، ولم يكن قبل ذلك دخل عليه، فكلّمه وقال له: من ربّك؟ قال: ربّي الذي يحيي ويميت. قل نمرود: أنا أحيي وأميت؛ أنا أُدخل أربعة نفر بيتاً فلا يطعمون ولا يسقون حتى إذا هلكوا من الجوع أطمعت اثنين وسقيتهما فعاشا، وتركت اثنين فماتا. فعرف إبراهيم أنه يفعل ذلك، قال له: فإن ربي الذي يأتي بالشمس من المشرق، فأت بها من المغرب. فبهت الذي كفر، وقال: إنّ هذا إنسان مجنون فأخرجوه، ألا ترون أنه من جنونه اجترأ على آلهتكم فكسّرها، وأن النار لم تأكله وخشي أن يفتضح في قومه. (السيوطي ، ٩١١ : ٢٠٦/٣)

---

(١) أخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في « العظمة » عن زيد بن أسلم : إن أول جبار كان في الأرض نمرود (انظر : السيوطي ، ٩١١م : ٢٠٣/٣)

٤,٣,٢ــ الأغنياء

المقصود بالأغنياء هم أصحاب الأموال، وهم المترفون في الأرض. والمترفون هم الملأ. وهم يقفون غالبا في وجه كل دعوة ويحاربونها بدافع من كثرة الأموال والأولاد. قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ (الزخرف: ٢٣) فهم أجابوا على دعوة الرسل أنهم وجدوا آباءهم على ملة ودين، وأنهم مقتفون أثرهم لا يحيدون من ذلك. وهذا من غنيّهم قلّدوا على باطلهم، وهم قلدوا للباطل القديم الذي كان عليه الآباء والأجداد.

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ (سبأ : ٣٤) فهم يستدلّون بما أعطاهم الله من أموال وأولاد على صلاحهم ونجاتهم من العذاب وجهلوا سنة الله في العطاء والمنع، فالله تعالى يعطي المال لمن يحبّ ولمن لا يحب، فلا يكون المال دليلاً على صلاح الشخص ورضي الله عنه.

٤,٣,٣ــ عامّة الناس

المقصود بعامة الناس هو جمهور قومه عليه السلام ومعظمهم وأكثرهم، فيشمل أباءه وأبناءه وقومه وكافة الناس على مختلف مستواهم وطبقاتهم في المجتمع، ويكونون غالبا فقراء وضعفاء، ويباشرون مختلف الأعمال والحرف. والمقصود بعامة الناس هنا ما عدا الملأ والأغنياء وهم قلة، وأما عداهم فهم أكثرية الناس في أي مجتمع كان، وهم عادة مرؤوسين للملأ وتابعين لهم. وهم في كل وقت أسرع من غيرهم إلى قبول

Prince of Songkla University Pattani Campus

الحق[1]، وتعليل سرعة استجابتهم للحق وقبولهم الدعوة إلى الله أنهم خالون من موانع القبول الموجودة في الملأ كالكبر وحبّ الرياسة والسياده والتسلط على الناس، لكن هناك احتمال لتأثرهم بمكائد الملأ والسير وراء تضليلهم وأكاذيبهم. وحقاً إن عامة الناس وجمهورهم أكثر استجابة للحق من غيرهم، لكن قد يتأثرون بالملأ وباطله مع وضوح الحق وعدم وجود الموانع للاستجابة، فتأثرهم بالملأ يرجع إلى أسباب:

١ ــ الخو : لا شك أن جمهور الناس معظمهم فقراء وضعفاء، والملأ بيده القوة والنفوذ والمال، يستطيع أن يرهّب الجمهور ويخوفهم إن خرجوا عن الكفر الذي هم فيه. وهذا الخوف يثبط الهمم والعزائم عند أكثر الجمهور طلباً لسلامة أنفسهم من الأذى، كما حدث لقوم موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (يونس : ٨٣) فمنع أكثر الجمهور من الإيمان بموسى عليه السلام و لم يؤمن به إلا قليلا منهم خوفا من أن يصيبهم بطش فرعون. وكذلك جمهور الناس في عهد الخليل إبراهيم عليه السلام فإنهم خائفون عن نمرود لعنة الله عليه.

٢ ــ الإغراء بالمال وحطام الدنيا: فالملأ يملكون ذلك ويلوحون به إلى الجمهور أن تابعوهم على باطلهم ورضوا بقيادتهم لهم. وقد يشير إلى ذلك قوله تعالى عن قوم نوح، قال عزّ شأنه: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (نوح: ٢١) فإنهم اتبعوا ساداتهم أصحاب الأموال على أمل الحصول على شيء من أموال .

---

(١) قال ابن كثير : " ثم الواقع غالبا أن يتبع الحق ضعفاء الناس " (ابن كثير ، ٢٠٠٢م : ٤٤٢/٢)

٤,٤ ــ نتائج دعوة خليل الرحمن

جدول (١٠): شجرة نتائج دعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام

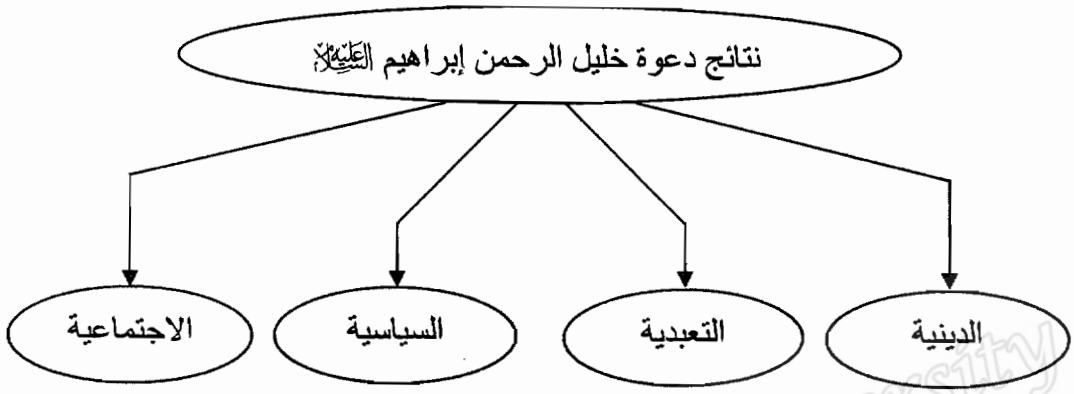

قد امتدت آثار دعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام المباركة على مدار الزمن، وعم نورها مشارق الأرض ومغاربها. وتتعدد الآثار التي تركتها دعوته المباركة وفي مقدمتها الاستجابة لدعوته حيث آمن له قومه من أهل بيته كما آمن له لوط عليه السلام، وهو الذي جعل الله من ذريته أئمة يهدون إلى الله بأمره حيث كانوا حريصين غاية الحرص على صلاح أنفسم وصلاح أممهم وحريصين على دوام الحق في الناس. قال الله تعالى: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (العنكبوت:٢٦-٢٧)

وكذلك قد آمن له ذرياته حيث بيّن الله في كتابه العزيز ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة : ١٣٣)

Prince of Songkla University Pattani Campus

وقد كان لدعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام نتائج متعددة، منها الاستجابة لهذه الدعوة، والعبرة ليست بكثرة المستجيبين ولكن بنوعهم، فهذا العدد القليل الذي آمن بخليل الرحمن عليه السلام جعله الله سبباً في استمرار الدعوة إلى يوم القيامة. ويمكن أن نقسّم نتائج دعوة الخليل من النواحي المختلفة كما يلي:

٤,٤,١ــ من الناحية الدينية

ومن نتائج دعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام من هذه الناحية هي قيام هذا الدين في هذه الأرض، وقد أمر الله نبيّه إبراهيم عليه السلام إقامة هذا الدين، وأوصى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالائتلاف والجماعة ونهاهم عن الافتراق والاختلاف، وعلى رأسهم أوّل الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه السلام، ثم إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم عليهم الصلاة والسلام، وآخرهم محمد ﷺ، كلّهم من أولي العزم من الرسل. قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ (الشورى : ١٣) والدين الذي جاءت به الرسل كلّهم هو عبادة الله وحده لا شريك له وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم. (جماعة من العلماء بإشراف المباركفوري، ١٤٢١هـ : ١٢٣١). وقد وصّى خليل الرحمن إبراهيم بنيه بهذه الملّة وهو الإسلام لله، وأيضاً وصّى نبيّ الله يعقوب عليه السلام بنيه بهذه الملّة، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (البقرة : ١٣٢)

ثمّ من نتائج هذه الدعوة هي الاتباع لملّة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، وهو محمد ﷺ واتباعه إلى يوم القيامة، لأنه إمام يقتدى به، حيث وصل إلى غاية ما يتقرب به العباد له. ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا

ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (آل عمران : ٦٨) وقال تعالى : ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (الأنعام : ١٦١) وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (النحل : ١٢٣) وقال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾ (النساء : ١٢٥)

٢,٤,٤ــ من الناحية التعبدية

ومن نتائج دعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام من هذه الناحية هي تحقيق التعبد الصحيح، وهي ترسيخ توحيد الألوهية في نفوس الذريّة ، فخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام بوصيّته لبنيه أبقى توحيد الألوهية في عقبه يبثّونه في نفوس الناس، وهو الذي أحيى الله به التوحيد وبثّه في الأقطار والأمم من خلال دعوته الناس، حيث تنفع رسالته الأمة التي بعث فيها بطريق التبليغ، وتنفع الأمم الأخرى بطريق القدوة. قال تعالى: ﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (البقرة : ١٣٣)

وقال تعالى: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ * قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ * وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ * وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ * وَوَهَبۡنَا

لَهُۥ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ * وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ (الأنبياء : ٦٨-٧٣)

٤,٤,٣ــ من الناحية السياسية

ومن نتائج دعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام من هذه الناحية هي تغيّر الوضع ونظام الحكم وزوال ثقة الأمة في مجتمعهم وتغيّر فقه الأمة نحو الكواكب والأصنام، حيث إن الملأ هم الذين يسيطرون على القوم، هم الذين يدبرون أمور مجتمعهم. والملأ من قوم إبراهيم عليه السلام هو النمرود ــ لعنة الله عليه ــ وأتباعه، وأراد نمرود وأصحابه أن يمكروا بخليل الرحمن عليه السلام لكن جهلهم الله وأخسر من كل خاسر قال تعالى: ﴿ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ أي المغلوبين الأسفلين لأنهم أرادوا بنبي الله عليه السلام كيداً فكادهم الله ونجاه من النار فغلبوا هنالك الكافرون، (انظر: ابن كثير، ١٤٠٣ ــ ١٩٨٣ : 3/١٨٤). وقد روى أن الملك المعاصر لإبراهيم كان يلقب بـــ "النمرود" وهو ملك الآراميين بالعراق، وأنه أهلك هو والملأ من قومه بعذاب من عند الله العليم الحكيم. المهمّ أنّ الله سبحانه وتعالى قد أنجى إبراهيم عليه السلام من الكيد الذي أريد به، وباء الكائدون له بخسارة ما بعدها خسارة. (سيد قطب، ١٩٨٦ : ٤/٢٤٨٨).

٤,٤,٤ــ من الناحية الاجتماعية

ونجد المجتمع في عهد خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام مجتمعاً جاهلياً كافراً بكل القيم، كان أهل حران يعبدون الكواكب، كل من في وجه الأرض حينئذ كانوا كفاراً

سوى خليل الرحمن وامرأته وابن أخيه لوط عليه السلام، ودعاهم الخليل إبراهيم وبيّن لهم أولا عدم صلاحية الكوكب للإلهية، وأن هذه الأجرام المشاهدة من الكواكب النيرة لا تصلح للألوهية، ولا أن تعبد مع الله عزّ وجلّ، لأنه مخلوقة مربوبه مصنوعة مدبرة مسخرة، تطلع تارة وتغيب أخرى، وتغيب عن العالم، والله لا إله إلا هو لا يغيب بل هو الدائم الباقي بلا زوال. قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام : ٧٨ــ٨٠).

وأما أهل بابل فكانوا يعبدون الأصنام والأوثان، فدعاهم الخليل وبين لهم أن هذه الأصنام والأوثان لا يصلح لأن تكون الألوهية، لأنها لا تسمع داعياً ولا تنفع ولا تضرّ شيئاً، وإنما الحامل لهم على عبادتها الاقتداء بأسلافهم وقدمائهم الضلال من الآباء الجهال. وهذا برهان قاطع على بطلان إلهية الأصنام والأوثان. ولهذا قال لهم الخليل: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الشعراء : ٧٢ــ٧٧)

وفي قصّة تكسير الخليل إبراهيم عليه السلام الأصنام كلها سوى الصنم الكبير دلالة واضحة وبرهان بيّن على بطلان على ما هم عليه من عبادة الإصنام وإهانتها غاية الإهانة، فلو كانت هذه الأصنام آلهة حقيقة لدفعت عن أنفسها من أرادها بها من سوء. والنتيجة من دعوة الخليل هذه تغيير المنكر باليد فعلاً مع أنه قادر على مباشرة

ذلك ، فهذه الفعلة تأثير كبير في عقول المجتمع بأن الأصنام والآلهة التي يعبدونها باطلة ليست إلهاً حقيقة.

وفي قصّة تحريقه عليه السلام بالنار حيث إنه لما ألقي في النار الملتهبة والناس ينظرون إليه لا يقدرون على الوصول إليه ولا هو يخرج إليهم، وإنما هو فيها ـــ بحفظ الله ورعايته ـــ سالم من الحرق، ولم تحرق منه سوى وثاقه فقط. فحينئذ اعترف أبوه برب إبراهيم، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: ((أحسن كلمة قاله أبو إبراهيم: إذ قال لما رأى ولده على تلك الحالة: نعم الرب ربك يا إبراهيم!)) وروى ابن عساكر عن عكرمة: أن أم إبراهيم نظرت إلى ابنها عليه السلام فنادته: يا بنيّ! إني أريد أن أجيء إليك فادع الله أن ينجيني من حر النار حولك، فقال: نعم. فأقبلت إليه لا يمسها شيء من حر النار، فلما وصلت إليه اعتنقته وقبلته ثم عادت. (ابن كثير، ١٩٦٩: ١٨٠). والنتيجة من هذه القصة من الدعوة اعتراف الأبوين بألوهية إبراهيم الخليل عليه السلام.

ومن نتائج دعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام من هذه الناحية هي إصلاح المجتمع الذي يشيع فيه الكفر والضلال، عبادة الكواكب والأصنام والأوثان، وتغيير الأفكار والقيم في المجتمع بالدعوة الإسلامية الحقة، وإنقاذ أفراد المجتمع من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق، ومن الخضوع والإنفياد للعباد إلى الخضوع لربّ العباد. ولأهمية دعوة الخليل إبراهيم عليه السلام تسود المجتمع بأن تكون العقيدة الإسلامية هي الأساس لبناء المجتمع ونظامه.

ويجدر بالداعية ـــ كل داعية ـــ أن يقف هنا مليا، يستشعر عظمة الإيمان الذي اعتمر به قلب خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام إنه وحيد ليس وراءه جماعة ولا أنصار، ولا يملك قوة ولا سلاحاً، ومنبوذ حتى من ذوي القرابة والوالدين، ولكن أنى للحق أن ينحني للباطل، أو يتراجع أمام التهديد والوعيد.

Prince of Songkla University Pattani Campus

٤,٥ ــ انتشار دعوة خليل الرحمن

حرص خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام على تبليغ الدعوة إلى الله وجرّد توحيد ربه تبارك وتعالى، فلم يدع مع الله غيره، ولا أشرك به طرفة عين، وتبرأ من كل معبود سواه، وخالف في ذلك سائر قومه، حتى تبرأ من أبيه ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ (الزخرف: ٢٦-٢٧) فبدأ بدعوته لأسرته وأوصى بنيه بعبادة الله وحده ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة : ١٣٢-١٣٣) ثم باشر إبراهيم الخليل بدعوة أبيه وقومه بكل جهد وحرص وبيان الحقّ من ربّه تبارك وتعالى وأتي بكلام عاقل واضح قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٰٔفِلِينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا

لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنعام : ٧٦-٨١). وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا * يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾ (مريم : ٤٣-٤٥). ثمّ لم يكتف خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام بدعوة قوم بالقول فقط دون تغيير المنكر، فعمد بعد دعوته وتوضيحه بطلان الأصنام والأوثان إلى تكسير الأصنام وتحطيمها إزالة للمنكر والخرافة، وبذلك سبب لبغض قومه منه وتعذيبه: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ * قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ * وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأنبياء : ٥٢-٥٨)

وتشتدّ المحنة على خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، ويلقى في النار، ويرضى بقضاء الله ويفرح بلقائه، ومن الأفق الأعلى، كان النبي المحتسب، والرسول الممتحن يصغي إلى نداء الله ــ وهو في حمأة اللهب المستمر : ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ * وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء : ٦٩-٧١) وتمضي قصته التي تعرض لها خليل الرحمن لأهل الحق صوراً شتى من صور الرجولة والبطولة، حتى ختم

الله له بأن جعله من رسله المصطفين الأخيار: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (البقرة : ١٣٠)

ومن أجل ذلك انتشرت دعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام إلى سائر المنطقة التي عاش فيها، من مهبط رأسه أرض بابل إلى مهجره أرض الشام وحران والديار المصرية وأرض المقدّسة، وأخيراً توجهوا إلى الأرض المباركة[1] وهو أرض مكة المكرمة. ولم تزل تنتشر هذه الدعوة المباركة وتمتدّ من حينه إلى أن وصل إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ. وقد تقبّل الله دعاء خليله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (البقرة : ١٢٨-١٢٩) وتمام دعوة الخليل إبراهيم عليه السلام أن يبعث الله من ذريّته رسولاً شاهداً ومبشّراً ونذيراً. وقد وافق الله ﷻ هذه الدعوة المباركة المستجابة، حيث قدّر الله السابق في تعيين نبيّنا وحبيبنا المصطفى محمّد ﷺ رسولاً إليهم وإلى سائر الأعجمين من الإنس والجن.

---

(١) الأرض المباركة: كما جاء في القرآن الكريم ﴿... إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء : ٧١) قيل: أرض الشام (قاله أبي بن كعب وأبو العالية وقتادة وغيرهم) ، وقيل: حران (قاله كعب الأحبا) ، وعن ابن عباس : أنها مكة قال: ألم تسمع إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران : ٩٦)